الإسراء والمعراج

رقم الإيداع : ٨٩١١ / ١٩٨٩



١٤٠ ش القائد أمام جامعة الأزهر ـ تليفون: ٥٩١٩٦٩٧ / ٥٩١٨٧١٩ / ٥١١٣٠٣٦ـ فاكس: ٥٩١٩٦٩٧

الإسراء والمعراج

تأليف

ابن حجر العسقلاني ، السيوطي

جمع وتحقيق

محمد عبد الحكيم القاضي

دار الحديث
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إهـــداء

* إلى القوم الذين يجتمعون على كتاب « الإسراء والمعراج » الذى ينسبونه لابن عباس – رضى الله عنه – .

* إلى القوم الذين تركوا صحيح السنة إلى ضعيف الآثار . ومحض الصواب من الاتباع إلى محض الباطل من الرأى والظن والهوى .

أهدى هذا الكتاب – عسى أن تهتدى به نفس إلى اتباع الهدى النبوى الصحيح وترك احتطاب الليل ، واتباع الأهواء .

أبو عبد الله

تقديم

إن الحمد لله واهب النعمة والفضل، وصاحب الخلق والأمر، ووارث الأرض وما عليها، وإليه يرجعون .

اللهم صلى وبارك على محمد رسول الله الخاتم وعلى آله وصحبه وذريته أجمعين .

وبعد،،

فلقد تأمّلْتُ ما كتب المحدثون فى « الإسراء والمعراج » فوجدت أفكاره فى جملتها وتفصيلها مودعة فى كتب أهل العلم السابقين، ووجدت من أنفع هذه الكتب السابقة كتاب « السراج الوهاج فى الإسراء والمعراج » لأبى إسحاق النعمانى. وهو طويل اختصره الشيخ عبد القادر أحمد عطا رحمه الله تعالى ولكن الشيخ – رحمه الله – قرر فى مقدمة اختصاره (صـ ٧) أنه « الكتاب الوحيد الذى رأيناه ووقفنا عليه مستقلا ببحث قضايا المعراج فى كتب التراث » .

والحقيقة أن المصنفات الخاصة بالإسراء والمعراج كثيرة، وقد وصلنا بعضها مخطوطًا ومطبوعًا، منها :

– الكوكب الوهاج فى أحاديث المعراج – لأبى بكر البسطامى .

مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٠٩١٩ ب .

– الآيات البينات فى معراج سيد الأرض والسماوات – لمحمد بن يوسف الشامى الصالحى .

مخطوط بدار الكتب المصرية، ورقمه فى دار الكتب المصرية (٢٢٠٦٢ – أدب) .

– الابتهاج فى الكلام على الإسراء والمعراج– لنجم الدين الغيطى .

مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٢٣٤٥ أدب .

– الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء –للسيوطى وهو كتابنا هذا – وقد طبع فى دمشق سنة ١٣٥٠، ثم طبعة الأستاذ المحقق محيى الدين مستو طبعة جيدة .

وعلى الرغم من أهمية كتاب السيوطى إلا أن الحاجة إلى كتاب دارس ممحص يسنده أمر مهم . والنصان معًا سيفيدان فى رواية ودراية قصة الإسراء والمعراج فائدة متكاملة ، لذلك قررت أن أعمد إلى نص الشرح الذى شرحه - الإمام الحافظ أبو الفضل أحمد بن على بن حجر العسقلانى المحدث المؤرخ الفقيه - عمدت إلى شرحه لأحاديث الإسراء فى «جامع الإمام البخارى الصحيح» ، فرتبته على الموضوعات والقضايا ثم جعلته بمنزلة الخاتمة الدارسة لنصوص السيوطى ونقوله طمعًا فى أن تجتمع الفوائد بما لم يسبق به كتاب إن شاء الله .

مع تخريج أحاديث السيوطى والتعليق عليها باختصار حتى لا يمل القارىء ولا يثقل عليه .

هذا مع رجاء أن يغفر الله لى الزلل ويجعل عملى خالصًا لوجهه الكريم ، إنه نعم المولى ، ونعم النصير .

كتب:

محمد عبد الحكيم القاضى

فى غرة جمادى الآخرة سنة ١٤٠٩ هـ

الإسراء والمعراج

للسيوطى

وهو

(الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء)

خرج أحاديثه

أبو عبد الله القاضى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله على نعمه التى لا تحصى والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى هذا جزء جمعته فى شرح قصة الإسراء بالغت فى إتقانه، ورتبته على أربعة فصول :

الأول : فى سرد الأحاديث الواردة فيه، ليعرف اختلاف الأخبار بألفاظها .

الثانى : فى حقيقته، وهل هو يقظة أو منام، وهل وقع مرة أو مرتين أو أكثر وهل المعراج والإسراء سيان أو غيران .

الثالث : فى تاريخه الزمانى والمكانى .

الرابع : فى نكته الفائقة .

وسميته « الآية الكبرى » فى شرح قصة الإسرا، والله أسأل قبوله والإثابة عليه، وأن يحظينا بالزلفى لديه، بمنه ويمنه .

* *** *

أحاديث الإسراء والمعراج

الفصل الأول

فى سرد الأحاديث الواردة فيه

(الحديث الأول)

ولنبدأ بأجودها وأتقنها ، وهو حديث حماد بن سلمة ، عن ثابت ، عن أنس فإنه جوده وأتقنه فسلم مما فى غيره من التعارض .

١ - قال مسلم :

حدثنا شيبان بن فروخ ، عن حماد بن سلمة ، عن ثابت البنانى عن أنس رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : أتيت بالبراق - وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل - يضع حافره عند منتهى طرفه ، قال : فركبته حتى أتيت بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل (عليه السلام) بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن ، فقال جبريل : اخترت الفطرة .

ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا ، فاستفتح جبريل[1] ؛ فقيل من أنت ؟ قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : بعث إليه ، ففتح لنا فإذا أنا بآدم ، فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل ، فقيل من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : قد بعث إليه؟ قال : بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ، فرحبا بى ودعوا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة ، فاستفتح جبريل ، فقيل : من أنت ؟ فقال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطى شطر الحسن ، فرحب بى ودعا لى بخير .

---

(١) استفتح جبريل : طلب أن تفتح السماء .

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بإدريس ، فرحب بى ودعا لى بخير . قال الله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾[٢] .

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بهارون ، فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السادسة ، فاستفتح جبريل ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا ، فإذا أنا بموسى فرحب بى ودعا لى بخير .

ثم عرج بنا إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل ، فقيل من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : قد بعث إليه . ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم مسنداً ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ، ثم ذهب بى إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة ، وإذا ثمرها كالقلال[٣] ، قال : فلما غشيها من أمر الله ما غشى[٤] تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ، قال : فأوحى إلى ما أوحى ، ففرض على خمسين صلاة فى كل يوم وليلة ، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال : ما فرض ربك على أمتك ؟ قلت : خمسين صلاة . قال : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك ، فإنى قد بلوت بنى إسرائيل وخبرتهم ، قال : فرجعت إلى ربى ، فقلت : يارب خفف عن أمتى فحط عنى خمساً . فرجعت إلى موسى فقلت : حط عنى خمساً . قال : إن أمتك لا يطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف . قال : فلم أزل أرجع بين ربى وبين موسى حتى قال : يا محمد إنهن خمس صلوات لكل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها

(٢) سورة مريم آية / ٥٧ .
(٣) ثمرها كالقلال : يعنى ثمرها ضخم جداً . والقِلال : جمعٌ للقُلّة : وهى الجَرَّة العظيمة .
(٤) غَشِيها : غطّاها . والمراد : أتى عليها .

كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقلت: قد رجعت إلى ربى حتى استحييت منه »(٥).

***

(الحديث الثانى)

٢- قال البخارى :

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك قال: كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« فُرِجَ عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه .

ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح، قال: من هذا ؟ قال: جبريل. قال: هل معك أحد ؟ قال: نعم معى محمد. فقال: أأرسل إليه ؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد، على يمينه أسودة، وعلى يساره أسْوِدَة(٦)، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى، فقال: مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل: من هذا ؟ قال: هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى. حتى عرج بى إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح. فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح .

قال أنس : فذكر أنه وجد فى السماوات آدم، وإدريس، وموسى وعيسى، وإبراهيم - صلوات الله عليهم - ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا، وإبراهيم فى السماء السادسة، قال أنس: فلما مر جبريل عليه

---

(٥) هذا سياق مسلم فى صحيحه (كتاب الإيمان/ ١٦٢)، (١/ ١٤٥ ح ٢٥٩) .

(٦) الأسوِدة : جمع سواد، وهو الشَّبَح. يعَنى أنه رأى صوراً كالأشباح للأشخاص .

السلام بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بإدريس قال: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح. قلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس. ثم مررت بموسى فقال: مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح. قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى. ثم مررت بعيسى فقال: مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح. قلت: من هذا؟ قال: عيسى. ثم مررت بإبراهيم. فقال: مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح. قلت: من هذا؟ قال: إبراهيم.

ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام(٧)، ففرض الله على أمتى خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله على أمتك؟ قلت: فرض خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق فرجعت فوضع شطرها، فرجعت إلى موسى قلت: وضع شطرها، قال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق فرجعت فوضع شطرها، فرجعت إليه فقال: ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال: هى خمس، وهى خمسون لا يبدل القول لدى. فرجعت إلى موسى قال: ارجع إلى ربك. قلت: قد استحييت من ربى ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ماهى ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك »(٨).

***

---

(٧) صريف الأقلام: صوتها. والمراد أنه بلغ مستوى عاليًا يسمع فيه صوت أقلام الملائكة، وهى تكتب قضاء الله تعالى وأمره.

(٨) حبائل اللؤلؤ: عقوده الطويلة وقلائده المنسَّقَة. ولعل أصلها الحَبْلُ، أو حبال الرمل: وهو ممتد الرمال.

والحديث أخرجه البخارى:

- كتاب الصلاة (باب كيف فرضت الصلوات) فتح (ريان)، (١/ ٥٤٧ ح ٣٤٩).
- كتاب الحج: (باب ما جاء فى زمزم ح ١٦٣٦) - مختصرًا.
- كتاب الأنبياء (باب ذكر إدريس عليه السلام ح ٣٣٤٢).

وقد جمع هذه المواضع الأستاذ الشيخ / محمد فؤاد عبد الباقى، فى كتابه الجليل: =

(الحديث الثالث)

٣- وقال البخارى أيضًا :

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثنى سليمان - وهو ابن بلال - عن شريك بن عبد الله - يعنى ابن أبى نمر - قال : سمعت أنس بن مالك يقول :

« ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مسجد الكعبة جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام، فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال : أوسطهم : هو خيرهم، فقال آخرهم : خذوا خيرهم، وكانت تلك الليلة فلم يرهم، حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته[٩] حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه، ثم أتى بطست من ذهب محشو إيمانا وحكمة فحشا به صدره ولغاديده - يعنى عروق حلقه - ثم أطبقه .

ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابًا من أبوابها، فناداه أهل السماء من هذا؟ فقال : جبريل، قالوا : ومن معك ؟ قال : معى محمد . قالوا : وقد بعث، قال : نعم . قالوا : مرحبًا به وأهلاً، يستبشر به أهل السماء، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به فى الأرض حتى يعلمهم ووجد فى السماء الدنيا آدم، فقال له جبريل : هذا أبوك آدم فسلم عليه . فسلم عليه، ورد عليه آدم وقال : مرحبًا وأهلاً يابنى، نعم الابن أنت . فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يَطَّرِدَان[١٠] فقال : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال : هذا النيل والفرات عنصرهما[١١] . ثم مضى به فى السماء فإذا بنهر

= جامع مسانيد الإمام البخارى .
فى مسند أبى ذر رضىَ الله عنه (المجلد الأول ص ٥٢ مكرر - مخطوط بخط يده) .
وهو تحت الطبع بتحقيقنا إن شاء الله، وسننشره قريبًا جدًا -بإذن الله تعالى- (دار الحديث بالقاهرة) والله المستعان .

(٩) اللّبة : موضع القلادة من الصدر .

(١٠) يطّردن : يتتابعان، أو يجريان باستمرار دون انقطاع .

(١١) عنصَرهما : أصلهما .
ولفظ (عنصرهما) بدل من النيل والفرات .

آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر، فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك .

ثم عرج به إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى : من هذا ؟ قال: جبريل . قالوا: ومن معك ؟ قال: محمد، قالوا: وقد بعث إليه ؟ قال: نعم. قالوا: مرحبًا وأهلاً .

ثم عرج به إلى السماء الثالثة فقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى السماء الرابعة فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم إدريس فى الثانية، وهارون فى الرابعة، وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه، وإبراهيم فى السادسة، وموسى فى السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى: رب لم أظن أن يرفع على أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى، ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله إليه فيما أوحى خمسين صلاة كل يوم وليلة، ثم هبط به حتى بلغ موسى، فاحتبسه موسى فقال: يا محمد ماذا عهد إليك ربك ؟ قال عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جبريل كأنه يستشيره فى ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فذكر نحو ما تقدم »(١٢) .

قال العلماء : اضطرب شريك فى هذا الحديث وساء حفظه ولم يضبطه(١٣) .

* * *

---

(١٢) هذه رواية البخارى فى كتاب التوحيد : باب ما جاء فى قوله عز وجل : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ .

(فتح – سلفية ١٣/ ٤٧٨ ح ٧٥١٧) .

(١٣) هذه العبارة هى عبارة الحافظ ابن كثير فى تفسيره سورة الإسراء عقب ذكر رواية شريك هذه .

=

. . . .

= وشريك : هو ابن عبد الله بن أبى نمر – تابعى مدنى – وهو غير شريك النخعى القاضى .
وقد تكلم فى نكارة هذه الرواية – رواية شريك قبل ابن كثير جماعة من العلماء منهم :
١ – مسلم بن الحجاج فى صحيحه قال بعد أن ساقها مقتضبته : « فقدّم وأخّر وزاد ونقص » .
٢ – الخطابى – أبو سليمان البستى – صاحب شرح سنن أبى داود – قال : « ليس فى الكتاب – يعنى فى صحيح البخارى – حديث أشنع ظاهرًا ، ولا أشنع مذاقًا من هذا » .
وقال عن شريك إنه : « كثير التفرّد بمناكير الألفاظ التى لا يتابعه عليها سائر الرواة » .
٣ – النووى – أبو زكريا الإمام – قال : « وقع فى رواية شريك – يعنى هذه أوهام – أوهام أنكرها العلماء . . . . » ثم راح يفصلها .

فَصْلٌ
فى مخالفات شريك فى هذه القصة

ذكرها الحافظ ابن حجر فى (الفتح – سلفية ١٣/ ٤٨٥) مجملة ، بعد أن فصّلها واجتهد فى التوفيق بينها . قال :

« ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء – بل تزيد على ذلك :
[قال محمد : هى اثنا عشر] .

الأول : أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى السماوات ، وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم ، وقد وافقه الزهرىَ فى بعض ما ذكر . . . .

الثانى : كون المعراج قبل البعثة ، وقد سبق الجواب عن ذلك . . . .

الثالث : كونه منامًا ، وقد سبق الجواب عنه أيضًا بما فيه غُنية .

الرابع : مخالفته فى محل سدرة المنتهى أنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله ، والمشهور أنها فى السابعة أو السادسة . . . . .

الخامس : مخالفته فى النهرين ؛ وهما النيل والفُراتُ ، وأن عنصرهما فى السماء الدنيا ، والمشهور فى غير روايته أنهما فى السماء السابعة ، وأنهما من تحت سدرة المنتهى .

السادس : شق الصدر عند الإسراء . . .

السابع : ذكر نهر الكوثر فى السماء الدّنيا ، والمشهور فى الحديث أنه فى الجنة . . . .

الثامن : نسبة الدنُوّ والتدلّى إلى الله عز وجل ، والمشهور فى الحديث أنه جبريل . . . .

التاسع : تصريحه بأن امتناعه صلى الله عليه وعلى آله وسلم – من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة ، ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة .

العاشر : قوله : « فَعَلا به الجبار . . . . » إلخ وقد تقدم ما فيه . . .

الحادى عشر : رجوعه بعد الخمس – يعنى الخمس صلوات – والمشهور فى الأحاديث أنّ موسى عليه السلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس فامتنع . . . .

الثانى عشر : «زيادة ذكر التور فى الطست . . . . . » .

قال الحافظ : « فهـذه أكثر من عشرة مواضع فى هذا الحديث لم أرَها مجموعة فى كلام أحد ممن تقدم . . . . » .

(الحديث الرابع)

٤ - وقال البزار :

حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا الحارث بن عبيد، عن أبى عمران الجونى، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « بينا أنا قاعد إذ جاء جبريل عليه السلام فوكز بين كتفى، فقمت إلى شجرة فيها كَوكْرَى[١٤] أنظر، فقعد فى أحدهما، وقعدت فى الآخر، فنمت وارتفعت حتى سدت الخافقين وأنا أقلب طرفى، ولو شئت أن أمس السماء لمسست، فالتفت إلى جبريل كأنه حلْسٌ لاطىء[١٥] فعرفت فضل علمه بالله علىّ، وفتح لى باب من أبواب السماء فرأيت النورَ الأعظم وإذا دون الحجاب رفرف الدر والياقوت وأوحى إلى ما شاء أن يوحى »[١٦] قال الحافظ عماد الدين بن كثير[١٧] : إن صح هذا الحديث فهى واقعة غير واقعة الإسراء لأنه لم يذكر فيها بيت المقدس ولا الصعود إلى السماء .

---

(١٤) كَوكْرَى الطير : مثل عُشَّى الطائر .
مفردهما : وكر وهذا مثنى حذفت نونه للإضافة .

(١٥) الحلْسُ اللاطىء : الكساءُ الذى يلتصق بظهر البعير تحت قتبه .
والمعنى : أن جبريل التزم مكانه ولزق فيه فلم يفارقه .

(١٦) هذا الحديث فى مسند البزار (كتاب الإيمان : باب منه فى الإسراء) .
كشف الأستار : (١/ ٤٧ ح ٥٨) .
قال البزار : « وهذا لا نعلم رواه إلا أنس، ولا رواه عن أبى عمران إلا الحارث، وكان بصريًا مشهورًا » .
وفى « مجمع الزوائد (١/ ٧٥) » قال الهيثمى :
« رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، ورجاله رجال الصحيح » .
وذكره السيوطى فى الخصائص (١/ ٣٩١)، وعزاه إلى ابن سعد وسعيد بن منصور فى سننه، والبذاذ، والبيهقى، وابن مردويه، وابن عساكر .
قال محمد : لا يسلم هذا الحديث - كما سيأتى .

(١٧) تفسير ابن كثير (سورة الإسراء ٥/ ٧٥). وقد شك الحافظ فى صحته كما ترى لاضطراب حديث الحارث - كما جزم أحمد بن حنبل. حتى ضعفه ابن حبان. قال فى « المجروحين » (١/ ٢٢٤) :
« كان شيخًا صالحًا ممّن كثر وهمه، حتى خرج عن جملة من يُحتج بهم إذا انفردوا » .
وأظن أن الذهبى مالَ إلى تضعيفه فى الميزان (١/ ٤٣٨) فراجعه .

(الحديث الخامس)

٥ - وقال البيهقى فى « الدلائل » :

أخبرنا أبو الحسن بن عبدان ، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار ، حدثنا محمد بن إسماعيل الترمذى ، حدثنا أبو على بن مقلاص ، حدثنا عبد الله بن وهب ، حدثنى يعقوب بن عبد الرحمن الزهرى ، عن أبيه عبد الرحمن ، عن هاشم بن هاشم بن هاشم بن عُتبة بن أبى وقاص ، عن أنس بن مالك قال : « لما جاء جبريل بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكأنها أصرت أذنيها ، فقال لها جبريل : مه يا براق فوالله إن ركبك مثله ، فسار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإذا هو بعجوز على جنب الطريق ، فقال : ما هذه جبريل ؟ قال جبريل : سر يا محمد . فسار ما شاء الله أن يسير فإذا هو بشىء يدعوه متنحيا عن الطريق يقول : هلم يا محمد ، فقال له جبريل : سر يا محمد . فسار ما شاء الله أن يسير قال : فلقيه خلق من الخلق فقالوا : السلام عليك يا أول ، السلام عليك يا آخر ، السلام عليك يا حاشر ، فقال له جبريل : اردد السلام يا محمد . فرد السلام ، ثم لقيه الثانية فقال له مثل مقالته الأولى ، ثم الثالثة كذلك ، حتى انتهى إلى بيت المقدس ، فعرض عليه الماء والخمر واللبن فتناول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ولو شربت الماء لغرقت وغرقت أمتك . ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك . ثم بعث له آدم فمن دونه من الأنبياء ، فأمهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلك الليلة ثم قال له جبريل : أما العجوز التى رأيت على جنب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقى من عمر تلك العجوز ، وأما الذى أراد أن تميل إليه فذاك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه ، وأما الذين سلموا عليك فإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام[١٨] » .

قال الحافظ ابن كثير : فى بعض ألفاظه نكارة وغرابة[١٩] .

---

(١٨) دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ١١٣) .

وقد أثبتنا سياقة الإسناد كما صنع الأستاذ / محيى الدين مستو ، وهو الأصحّ إن شاء الله عما فى المطبوعة التى طَبعت فى الترقى .

(١٩) تفسير ابن كثير (٥/ ٩) .

(الحديث السادس)

٦ - وقال ابن أبى حاتم فى تفسيره :

حدثنى أبى ، حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك ، عن أبيه ، عن أنس بن مالك (رضى الله عنه) ، قال :

« لما كان ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتاه جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل ، حمله جبريل عليها ، ينتهى خفها حيث ينتهى طرفها فلما بلغ بيت المقدس وبلغ المكان الذى يقال له : « باب محمد » أتى إلى الحجر الذى ثمة فغمزه جبريل بأصبعه فنقبه ثم ربطها ، ثم صعد ، فلما استويا فى صَرْحَة(٢٠) المسجد ، قال جبريل : يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين؟ قال : نعم ، فقال : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن ، وهن جلوس عن يسار الصخرة قال : فأتيتهن فسلمت عليهن فرددن على السلام ، فقلت : من أنتن ؟ فقلن : نحن خَيّرات حسَان(٢١) ، نساء قوم أبرار ، نَقُوا فلم يَدْرَنُوا ، وأقاموا فلم يظعنوا ، وخلدوا فلَم يموتواَ .

ثم انصرفت فلم ألبث إلا يسيرًا حتى اجتمع ناس كثير ثم أذن مؤذن وأقيمت الصلاة ، قال : فقمنا صفوفًا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل عليه السلام فقدمنى فصليت بهم ، فلما انصرفت قال جبريل : يا محمد أتدرى من صلى خلفك ؟ قال : قلت : لا . قال : صلى خلفك كل نبى بعثه الله .

قال : ثم أخذ بيدى جبريل فصعد بى إلى السماء فلما انتهينا إلى الباب استفتح فقالوا : من أنت ؟ قال : أنا جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم . ففتحوا له وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . قال : فلما استوى على ظهرها إذا فيها آدم ، فقال لى جبريل : يا محمد ألا تسلم على أبيك آدم ؟ قال :

---

(٢٠) صرحة المسجد - ساحته - وهو ما يسمى صحن المسجد .

(٢١) نحن خيّراتٌ حسان : إيماء إلى ما ذكر الله جل جلاله فى سورة الرحمن : ﴿ فيهن خيِّراتٌ حسان ﴾ ، أعنى بتشديد الياء المكسورة .

وهى قراءة صحيحة متواترة .

والمفرد : خيِّرة - كثيرة الخير .

قلت : بلى ، فأتيته فسلمت عليه ، فرد على وقال : مرحبًا بابنى والنبى الصالح .

قال : ثم عرج بى إلى السماء الثانية فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم قال : ففتحوا له وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك ، فإذا فيها عيسى وابن خالته يحيى (عليهما السلام)[٢٢] .

ثم عرج بى إلى السماء الثالثة ، فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم ففتحوا له وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك فإذا فيها يوسف ، ثم عرج بى إلى السماء الرابعة فاستفتح قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم ففتحوا وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك فإذا فيها إدريس عليه السلام ، ثم عرج بى إلى السماء الخامسة فاستفتح ، قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم ، ففتحوا وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك . فإذا فيها هارون ، ثم عرج بى إلى السماء السادسة فاستفتح فقالوا : من ؟ قال جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم ففتحوا وقالوا مرحبًا بك وبمن معك فإذا فيها موسى عليه السلام ثم عرج بى إلى السماء السابعة فاستفتح قالوا : من أنت ؟ قال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد بعث ؟ قال : نعم ، ففتحوا وقالوا : مرحبًا بك وبمن معك وإذا فيها إبراهيم عليه السلام ، فقال جبريل : يا محمد ألا تسلم على أبيك إبراهيم ؟ فقلت : بلى فأتيته فسلمت عليه فرد السلام وقال : مرحبًا بابنى والنبى الصالح .

---

(٢٢) هذه الرؤيا هى رؤيا حقيقية لا تجوز فيها المكابرة ، ولقد قال تعالى : ﴿ لقد رأى من آيات ربه الكُبْرى ﴾ .

فلو كان ذلك منامًا لما صحّ أن يكون ما رآه آيات كبرى ، لأن النائم يرى مثل ذلك وفوق ذلك فى منامه ولا يُسْتَهْوَل ما رأى .

وأما حياتهم فالتحقيق إن شاء الله إنها حياة برزخية ، يعنى حياة صحيحة لكنها تفترق عن حياة الناس فى أنهم لا يطعمون ولا يشربون ، ولا يتناكحون . . . .

وقد فصّل الأخ فريد بن عبد العزيز الجندى ذلك فى تحقيقه لكتاب « حياة الأنبياء » للبيهقى .

كما صنعنا شيئًا من ذلك فى تحقيقنا لفتاوى الحافظ ابن حجر فى أحوال القبور وأهوال النشور ، وقد طبع الكتابان فى دار الحديث بالقاهرة .

قال : ثم انطلق بى على ظهر السماء السابعة حتى انتهى إلى نهر عليه جام(٢٣) الياقوت واللؤلؤ والزبرجد وعليه طير خضراء [أنْعَم طير رأيت](٢٤) فقلت : يا جبريل إن هذا الطير الناعم ، فقال : يا محمد أكله أنعم منه ، ثم قال : يا محمد أتدرى أى نهر هذا ؟ قلت : لا ، قال : هذا الكوثر الذى أعطاك الله إياه فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد مآؤه أشد بياضًا من اللبن . قال : فأخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت ، فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك ثم انطلق بى حتى انتهى إلى الشجرة فغشيتنى سحابة فيها من كل لون فرفعنى جبريل وخررت ساجدًا لله عز وجل ، فقال الله : يا محمد إنى يوم خلقت السماوات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك قال : ثم انجلت عنى السحابة وأخذ بيدى جبريل فانصرفت سريعًا فأتيت على إبراهيم فلم يقل لى شيئًا . ثم أتيت على موسى فقال : ما صنعت يا محمد ؟ فقلت : فرض ربى علىّ وعلى أمتى خمسين صلاة . قال : فلن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك . فرجعت سريعًا حتى انتهيت إلى الشجرة فغشيتنى السحابة ورفعنى جبريل وخررت ساجدًا وقلت : رب إنك فرضت علىّ وعلى أمتى خمسين صلاة وإنى لا أستطيعها أنا ولا أمتى فخفف عنا ، قال : وقد وضعت عنكم عشرًا ، قال : ثم انجلت عنى السحابة وأخذ بيدى جبريل وانصرفت سريعًا حتى أتيت على إبراهيم فلم يقل شيئًا ، ثم أتيت على موسى فقال لى : ما صنعت يا محمد ؟ فقلت : وضع عنى ربى عشرًا قال : أربعون صلاة قال : لن تستطيعها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله أن يخفف عنك فذكر الحديث كذلك إلى خمس صلوات وخمس بخمسين ، ثم أمره موسى أن يرجع فيسأل التخفيف فقلت : إنى قد استحييت من الله تعالى .

---

(٢٣) جام الياقوت : إناء أو آنية من الياقوت الصافى .

(٢٤) رأيناه مكتوبًا هكذا فى نسخة السيوطى : « نِعْم طيرِ رأيت » .
وأورده كذلك مضبوطًا الأستاذ مسْتو .
ولا يصح هكذا لغة ، لأن ما بعد (نِعْم) إذا كان نكرة ينصب على التمييز . وهذا مجرور ، مع أن ما بعد (نِعْم) لا يجر مطلقًا .
ولذلك كانَ ما فى تفسير ابن كثير أصحّ ، وهو ما أثبتناه ، وهو : « أنعم طير رأيت » .

قال : ثم انحدر فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لجبريل : مالى لم آت أهل سماء إلا رحبوا بى وضحكوا إلىّ غير رجل واحد فسلمت عليه فرد على السلام ورحب بى ولم يضحك إلىّ ؟ قال : يا محمد ذاك مالك خازن جهنم لم يضحك منذ خُلِقَتْ ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك .

قال : ثم ركبت منصرفًا ، فبينا هو فى بعض طريقه مر بعير لقريش تحمل طعامًا ، منها جمل عليه غرارتان(٢٥) غرارة سوداء وغرارة بيضاء ، فلما حاذى بالبعير نفرت منه واستدارت وصرع ذلك البعير وانكسر ، ثم إنه مضى فأصبح فأخبر عما كان ، فلما سمع المشركون قوله أتوا أبا بكر فقالوا : يا أبا بكر هل لك فى صاحبك يخبر أنه أتى فى ليلته هذه مسيرة شهر ثم رجع فى ليلته ، فقال أبو بكر : إن كان قاله فقد صدق وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا ، نصدقه على خبر السماء .

فقال المشركون لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : ما علامة ما تقول ؟ قال : مررت بعير لقريش وهى فى مكان كذا وكذا ، فنفرت الإبل واستدارت ، وفيها بعير عليه غرارتان غرارة سوداء وغرارة بيضاء فصرع فانكسر ، فلما قدمت العير(٢٦) سألوهم فأخبروهم الخبر على مثل ما حدثهم عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومن ذلك سمى أبو بكر الصديق .

وسألوه فقالوا : هل كان فيمن حضر معك عيسى وموسى ؟ قال : نعم . قالوا : فصفهم ؟ قال : نعم ، أما موسى فرجل آدم(٢٧) كأنه من رجال أزد عمان ، وأما عيسى فرجل ربعة يعلوه حمرة كأنما يتحادر(٢٨) من شعره الجمان »(٢٩) .

قال ابن كثير : هذا سياق فيه غرائب عجيبة(٣٠) .

---

(٢٥) غرارتان : قربتان .

(٢٦) العير : الجماعة الخارجة للتجارة .

(٢٧) آدمُ : لون يميل إلى الأدمة . وهو لون بين البياض والسّواد . وهو لون الأرض - وإليها نُسِبَ ، لأنه كون أديم الأرض ، وهو ظهرها .

(٢٨) يتحادر من شعره : يتقطّر على مهل .

(٢٩) الجُمَان : اللؤلؤ .

(٣٠) تفسير ابن كثير (٥/ ١١ - ١٣) .

وقد أورده السيوطى فى الخصائص الكبرى (١/ ٣٨٣ - ٣٨٧) معزوا إلى ابن أبى حاتم . =

(الحديث السابع)

٧ - وقال أحمد فى مسنده :

حدثنا عفان ، حدثنا همام ، سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك ، أن مالك بن صعصعة حدثه ، أن نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال :

« بينا أنا فى الحطيم وربما قال قتادة فى الحجر - مضطجعًا إذ أتانى آت فجعل يقول لصاحبه : الأوسط من الثلاثة قال : فأتى : (فقد سمعت قتادة يقول : فشق) ما بين هذه إلى هذه . (وقال قتادة : فقلت للجارود وهو إلى جنبى : ما يعنى ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته ، وسمعته يقول : من قصيته إلى شعرته) . قال : فاستخرج قلبى فأتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا وحكمة فغسل قلبى ثم حشى ، ثم أعيد ، ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض (قال : فقال الجارود : وهو البراق يا أبا حمزة ؟ قال : نعم) يضع خطوه عند أقصى طرفه . قال : فحملت عليه فانطلق بى جبريل حتى أتى بى السماء الدنيا فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، فقيل : مرحبًا به ونعم المجىء جاء . قال : ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم عليه السلام قال : هذا أبوك آدم فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح . ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فقيل : من هذا ، قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا به ونعم المجىء جاء ، قال : ففتح فلما خلصت فإذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما قال : فسلمت ، فردا السلام ، ثم قالا : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

= قال محمد : وهذا إسناد ضعيف لضعف خالد بن يزيد -وهو ابن عبد الرحمن بن أبى مالك : ضعفه جماعة من أهل الحديث ؛ منهم ابن معين وأحمد بن حنبل والنسائى والدارقطنى .

حتى قال أحمد بن أبى الحوارى إنه سمع كتاب خالد بن يزيد ثم أعطاه للعطار ليبيع فيه حوائج .

وانظر ترجمته فى الميزان (١/ ٦٤٥) .

ثم صعد حتى أتى السماء الثالثة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف (عليه السلام) فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح ثم صعد حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح قيل : من هذا : قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحبًا به ونعم المجيء جاء ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس قال : هذا إدريس فسلم عليه ، فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا به ونعم المجيء جاء ، ففتح فلما خلصت فإذا هارون قال : هذا هارون فسلم عليه ، فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد حتى أتى السماء السادسة فاستفتح فقيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قيل : مرحبًا به ونعم المجيء جاء ففتح ، فلما خلصت فإذا أنا بموسى قال : هذا موسى فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح ، قال : فلما تجاوزت بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلامًا بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى .

ثم صعد حتى انتهى إلى السماء السابعة فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قيل : أو قد أرسل إليه ، قال : نعم قيل : مرحبًا به ونعم المجيء جاء ، ففتح ، فلما خلصت فإذا بإبراهيم فسلم عليه قال : فسلمت عليه فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح .

قال : ثم رفعت إلى سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران ، فقلت : وما هذا يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات .

قال : ثم رفع لى البيت المعمور . (قال قتادة : وحدثنى الحسن ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : أنه رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون فيه ثم رجع إلى حديث أنس قال :) ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل قال : فأخذت اللبن . قال : هذه الفطرة أنت عليها وأمتك ثم فرضت الصلاة . فذكر نحو ما تقدم أخرجه الشيخان[٣١] .

* * *

(الحديث الثامن)

٨- وقال البيهقى :

أخبرنا أبو عبد الله (محمد بن عبد الله) الحافظ ، حدثنا أبو العباس (محمد بن يعقوب) حدثنا أبو بكر يحيى بن أبى طالب ، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء ، حدثنا أبو محمد الحمانى[*] ، عن أبى هارون العبدى ، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال : « بينا أنا نائم عشاء فى المسجد الحرام ، إذ أتانى آت فأيقظنى فاستيقظت فلم أر شيئًا ، وإذا أنا بهيئة خيال فأتبعته بصرى حتى خرجت من المسجد فإذا أنا بدآبة أدنى شبهة بدوابكم هذه ، بغالكم هذه ، مضطرب الأذنين يقال له : البراق . وكانت الأنبياء تركبه قبلى يضع حافره عند مد بصره ، فركبته . فبينا أنا أسير عليه ، إذ دعانى داع يمينى : يا محمد ،

---

(٣١) حديث قتادة عن أنس :
أخرجه أحمد فى المسند (٤/ ٢٠٨ - ٢١٠) .
وابن كثير (٥/ ١٣ - ١٥) .
وهو فى الصحيحين أيضًا :
- البخارى (كتاب بدء الخلق - باب ذكر الملائكة) .
(فتح / ٦/ ٣٤٨ ح ٣٢٠٧) .
- مسلم (كتاب الإيمان ، رقم ١٦٤) .
وحديث أبى هريرة :
رواه قتادة عن الحسن عن أبى هريرة فى البخارى :
(بدء الخلق - فتح ٦/ ٣٤٩ ح ٣٢٠٧) .
وانظره فى أرقام : ٣٣٩٣ ، ٣٤٣٠ ، ٣٨٨٧ .

(*) فى التفسير : أبو محمد - راشد - الحمانى .

انظرنى أسألك، فلم أجبه (ولم أقم عليه). فبينما أنا أسير عليه، إذ دعانى داع عن يسارى : يا محمد، انظرنى أسألك. فلم أجبه (ولـم أقم عليه). فبينما أنا أسير عليه إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها، وعليها من كل زينة خلقها الله، فقالت : يا محمد، انظرنى أسألك، فلم ألتفت (إليها، ولم أقم) عليها، حتى أتيت بيت المقدس فأوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء توثقها به. أتانى جبريل بإناءين : أحدهما خمر، والآخر لبن، فشربت اللبن وتركت الخمر، فقال جبريل : أصبت الفطرة فقلت : الله أكبر الله أكبر. فقال جبريل : ما رأيت فى وجهك هذا ؟ فقلت : بينما أنا أسير إذ دعانى داع عن يمينى : يا محمد، انظرنى أسألك، فلم أجبه (ولم أقم عليه). قال : ذاك داعى اليهود، أما إنك لو أجبته لتهودت أمتك. قال : وبينما أنا أسير إذ دعانى داع عن يسارى فقال : يا محمد، انظرنى أسألك، فلم ألتفت إليه (ولم أقم عليه) قال : ذاك داعى النصارى، أما إنك لو أجبته لتنصرت أمتك. وبينما أنا أسير إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها، عليها من كل زينة خلقها الله، تقول : يا محمد، انظرنى حتى أسألك، فلم أجبها (ولم أقم عليها) قال : تلك الدنيا أما إنك لو أجبتها لأختارت أمتك الدنيا على الآخرة .

ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس فصلى كل واحد منا ركعتين .

ثم أتيت بالمعراج الذى تعرج عليه أرواح بنى آدم. فلم ير الخلائق أحسن من المعراج، أما رأيت الميت حين يشق بصره طامحًا إلى السماء، فإن ذلك عجبه بالمعراج. قال : فصعدت أنا وجبريل فإذا أنا بملك يقال له : إسماعيل، وهو صاحب سماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك، مع كل ملك جنده مائة ألف ملك، قال : وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ ﴾(٣٢) .

قال : فاستفتح جبريل باب السماء، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل. قيل : ومن معك ؟ قال : محمد، قيل : أوقد بعث إليه ؟ قال : نعم. فإذا أنا بآدم كهيئة يوم خلقه الله على صورته، تعرض عليه أرواح ذريته المؤمنين، فيقول : روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها فى عليين، ثم تعرض عليه أرواح ذريته الفجار، فيقول : روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها فى سجين .

---

(٣٢) سورة المدثر آية / ٣١ .

ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأخونة، عليها لحم مشرح ليس يقربه أحد، وإذا أنا بأخونة أخرى عليها لحم قد أروح ونتن، عندها أناس يأكلون فيها، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء قوم من أمتك يتركون الحلال ويأتون الحرام.

قال: ثم مضيت هنيهة. فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول: اللهم لا تقم الساعة، قال: وهم على سابلة آل فرعون، قال فتجيء السابلة[٣٣] فتطؤهم، فسمعتهم يضجون إلى الله تعالى، قال: قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك ﴿ **الّذين يَأكُلُونَ الرِّبا لا يقومُون إلا كَمَا يَقُومُ الّذى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ المسِّ** ﴾[٣٤].

قال: ثم مضيت هنيهة فإذا أنا بأقوام مشافرهم كمشافر الإبل، فيُفتح على أفواههم، ويُلقمون من ذلك الجمر، ثم يخرج من أسافلهم فسمعتهم يضجون إلى الله تعالى، قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك ﴿ **الذين يأكُلُون أَمْوَالَ اليَتَامَى ظُلْمًا إِنَّما يَأكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً** ﴾[٣٥].

قال: ثم مضيت هنيهة، فإذا أنا بنساء يُعلَّقْنَ[٣٦] بثديّهن فسمعتهن يضججن إلى الله تعالى، قلت: يا جبريل، من هؤلاء النساء؟ قال: هؤلاء الزناة من أمتك.

قال: ثم مضيت هنيهة، فإذا أنا بأقوام يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمونه فيقال له: كل كما كنت تأكل من لحم أخيك. قلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون من أمتك اللمازون.

قال: ثم صعدنا إلى السماء الثانية، فإذا برجل أحسن ما خلق الله، قد فضل الناس بالحسن كالقمر ليلة البدر على سائر الكواكب، قلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا أخوك يوسف ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلم علي.

---

(٣٣) السابلة: أبناء السبيل المختلفة فى الطرقات (مختار الصحاح).
(٣٤) سورة البقرة آية / ٢٧٥.
(٣٥) سورة النساء آية / ١٠.
(٣٦) فى نسخة مستو: معلقين. وهو خطأ مطبعى أو تحريف. والصواب ما أثبتناه من تفسير ابن كثير.

ثم صعدت إلى السماء الثالثة فإذا أنا بيحيى وعيسى ابنا الخالة، ومعهما نفر من قومهما، فسلمت عليهما وسلما علّى .

ثم صعدت إلى السماء الرابعة، فإذا أنا بإدريس قد رفعه الله مكانًا عليا فسلمت عليه وسلم على .

ثم صعدت إلى السماء الخامسة فإذا أنا بهارون، ونصف لحيته بيضاء ونصفها سوداء، تكاد لحيته تصيب سرته من طولها، قلت: يا جبريل من هذا ؟ قال: هذا المحبب فى قومه، هذا هارون بن عمران ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلم على .

ثم صعدت إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى بن عمران رجل آدم كثير الشعر، لو كان عليه قميصان لنفذ شعره دون القميص، وإذا هو يقول: يزعم الناس أنى أكرم على الله من هذا، بل هذا أكرم على الله منى . قال: قلت: يا جبريل من هذا ؟ قال: هذا أخوك موسى بن عمران ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلم علّى .

ثم صعدت إلى السماء السابعة فإذا أنا بأبينا إبراهيم خليل الرحمن . ساندا ظهره إلى البيت المعمور كأحسن الرجال، قلت: يا جبريل من هذا ؟ قال: هذا أبوك خليل الرحمن ومعه نفر من قومه، فسلمت عليه وسلم علّى وإذا أنا بأمتى شطرين: شطر عليهم ثياب بيض كأنها القراطيس، وشطر عليهم ثياب رمد، قال: فدخلت البيت المعمور، ودخل معى الذين عليهم الثياب البيض، وجنب الآخرون الذين عليهم ثياب رُمْدٌ(٣٧) وهم على خير، وصليت أنا ومن معى فى البيت المعمور، ثم خرجت أنا ومن معى، قال: والبيت المعمور يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة .

ثم رُفعت إلى سدرة المنتهى، فإذا كل ورقة منها تكاد تغطى هذه الأمة، وإذا فيها عين تجرى يقال لها: سلسبيل، فيشق منها نهران: أحدهما الكوثر، والآخر يقال له: نهر الرحمة، فاغتسلت فيه فغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تأخر .

---

(٣٧) عليهم ثياب رُمْدٌ : غبر فيها كدورة كلون الرماد .

ثم إنى رفعت إلى الجنة فاستقبلتنى جارية، فقلت: لمن أنت يا جارية ؟ قالت: لزيد بن حارثة، وإذا أنا بأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى وإذا رمانها كأنها الدلاء عظمًا، وإذا بطيرها كأنها بختيكم هذه، فقال عندها صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إن الله قد أعد لعباده الصالحين مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر .

قال : ثم عرضت على النار فإذا فيها غضب الله ورجزه ونقمته، لو طرحت فيها الحجارة والحديد لأكلتها، ثم أغلقت دونى .

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، فغشانى فكان بينى وبينه قاب قوسين أو أدنى، قال: ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة وفرضت عَلّى خمسون » فذكر مراجعته بين موسى وربه، ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب إنى أتيت البارحة بيت المقدس وعرج بى إلى السماء ورأيت كذا وكذا، فقال أبو جهل يعنى ابن هشام -: ألا تعجبون مما يقول محمد ؟ يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس، ثم أصبح فينا وأحدنا يضرب مطيته مصعده شهراً ومنقلبه شهراً، فهذه مسيرة شهرين فى ليلة واحدة ! قال: فأخبرهم بعير لقريش لما كانت فى مصعدى رأيتها فى مكان كذا وكذا، وأنها نفرت فلما رجعت رأيتها عند العقبة، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا، ومتاعه كذا وكذا، فقال رجل من المشركين: أنا أعلم الناس ببيت المقدس، وكيف بناؤه، وكيف هيئته، وكيف قربه من الجبل، قال: فرفع لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيت المقدس من مقعده ينظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته، بناؤه كذا وكذا، وهيئته كذا وكذا، وقربه من الجبل كذا وكذا، فقال: صدقت(٣٨) .

* * *

(٣٨) دلائل النبوة : (٢/ ٣٦ - ١٤٢) .
تفسير ابن كثير : (٥/ ٢٠ - ٢٣) .
وعزاه ابن كثير لابن جرير الطبرى وابن أبى حاتم من طرق نلتقى عند أبى هارون العبدى، رواه عنه خمسة من الأتباع . لكنه قال: « عن أبى هارون العبدى - واسمه عمارة بن جوين، وهو مضعّف عند الأئمة، وإنما سُقنا حديثه هاهنا لما فى حديثه من الشواهد لغيره » . =

(الحديث التاسع)

٩- وقال البيهقى :

حدثنا أبو سعد المالينى ، حدثنا ابن عدى ، حدثنا محمد بن الحسن السكونى ، حدثنا على بن سهل ، حدثنا حجاج ، حدثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع بن أنس عن أبى العالية الرياحى ، أو غيره ، عن أبى هريرة ، قال :

جاء جبريل إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومعه ميكائيل ، فقال جبريل لميكائيل : ائتنى بطست من ماء زمزم كيما أطهر قلبه ، واشرح له صدره ، قال : فشق عنه بطنه فغسله ثلاث مرات ، واختلف إليه ميكائيل بثلاث طساس(٣٩) من ماء زمزم ، فشرح صدره ، ونزع ما كان فيه من غل ، وملأه حلمًا وعلمًا ، وإيمانًا ويقينًا وإسلامًا ، وختم بين كتفيه بخاتم النبوة .

ثم أتاه بفرس فحمل عليه ، كل خطوة من منتهى بصره ، أو أقصى بصره فسار ، وسار معه جبريل ، فأتى على قوم يزرعون فى يوم ويحصدون فى يوم كلما حصدوا عاد كما كان ، فقال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله ، تضاعف لهم الحسنات بسبعمائة ضعف ، وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه .

ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر ، كلما رضخت عادت كما كانت ، ولا يفتر عنهم من ذلك شىء قال : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين تثاقلت رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة .

= قلت : وهذا العبدى مرمّى بالكذب ، متهم بالبدعة ، مطعون فى الدين .
لذلك قال شعبة – وكان شديدًا :
« لئن أقدّم فتضرب عنقى أحب إلىّ من أن أحدّث عن أبى هارون » .
وانظر ترجمته فى :
ضعفاء البخارى برقم (٢٨٢) ، (النسائى/ ٤٧٦) ، (الدارقطنى/ ٣٨١) ، الكبير للبخارى (٣/ ٤٩٩) الضعفاء الكبير للعقلى : رقم (١٣٣٧) ، ابن حبان فى المجروحين (٢/ ١٧٧) ، الذهبى فى الميزان (٣/ ١٧٣) ، التهذيب لابن حجر (٧/ ٤١٣) وغيرها .

(٣٩) طِساس : جمع طست .

ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع[٤٠]، يسرحون كما تسرح الإبل والغنم، ويأكلون الضريع[٤١] والزقوم ورضف[٤٢] جهنم وحجارتها، قال: ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال: هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله شيئًا، وما الله بظلام للعبيد .

ثم أتى على قوم بين أيديهم لحم نضيج فى قدور، ولحم آخر نىء خبيث، فجعلوا يأكلون من النىء الخبيث ويدعون النضيج الطيب قال: يا جبريل من هؤلاء ؟ قال: الرجل من أمتك يقوم من عند امرأته حلالا فيأتى المرأة الخبيثة، فيبيت معها حتى يصبح، والمرأة تقوم من عند زوجها حلالاً طيبًا فتأتى الرجل الخبيث فتبيت عنده حتى تصبح .

ثم أتى على خشبة فى الطريق لا يمر بها ثوب إلا شقته، ولا شىء إلا خرقته، قال: ما هذا يا جبريل، قال: هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه، ثم تلا: ﴿ **وَلاَ تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ** ﴾[٤٣] .

ثم أتى على رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها، وهو يزيد عليها، فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الرجل من أمتك يكون عليه أمانات الناس لا يقدر على أدائها، وهو يريد أن يحمل عليها .

ثم أتى على قوم تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من حديد كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم من ذلك شىء قال: ما هؤلاء يا جبريل ؟ قال: خطباء الفتنة .

ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم، فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع، فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها، فلا يستطيع أن يردها .

---

(٤٠) رقاع : جمع رُقعة، وهى القطعة من الجلد أو نحوه .

(٤١) الضريع : نبت شوكى لا غذاء فيه، قال تعالى : ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع، لا يسمن ولا يُغنى من جوع** ﴾ .

(٤٢) رضف جهنم : الرضف : الحجارة المحماة على النار .

(٤٣) سورة الأعراف آية / ٨٦ .

ثم أتى على حجر صغير يخرج منه ثور عظيم ، فيريد الثور أن يدخل من حيث خرج فلا يستطيع ، فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة العظيمة فيندم عليها ، فلا يستطيع أن يردها .

ثم أتى على واد فوجد ريحًا طيبة باردة ، وريح مسك ، وسمع صوتًا فقال : يا جبريل ما هذه الريح الطيبة الباردة وريح المسك وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت الجنة ، تقول : يارب ائتنى بما وعدتنى فقد كثرت غرفى وإستبرقى وحريرى وسندسى وعبقريى ومرجانى وفضتى وذهبى وأكوابى وصحافى وأباريقى وعسلى ومائى وخمرى ولبنى ، فأتنى ما وعدتنى ، فقال : لك كل مسلم ومسلمة ، ومؤمن مؤمنة ، ومن آمن بى وبرسلى وعمل صالحًا ولم يشرك بى ، ولم يتخذ من دونى أندادًا ، ومن خشينى فهو آمن ، ومن سألنى أعطيته ، ومن أقرضنى جزيته ، ومن توكل على كفيته ، إنى أنا الله لا إله إلا أنا لا أخلف الميعاد ، وقد أفلح المؤمنون ، وتبارك الله أحسن الخالقين ، قالت : رضيت .

ثم أتى على واد فسمع صوتًا منكرًا ، ووجد ريحًا منتنة ، فقال : ما هذه الريح يا جبريل : وما هذا الصوت ؟ قال : هذا صوت جهنم تقول : يارب ائتنى بما وعدتنى ، فقد كثرت سلاسلى وأغلالى وسعيرى وحميمى وضريعى وغساقى[٤٤] وعذابى وقد بعد قعرى ، واشتد حرى ، فأتنى ما وعدتنى قال : لك كل مشرك ومشركة ، وخبيث وخبيثة ، وكل جبار لا يؤمن بيوم الحساب قالت : رضيت .

قال : ثم سار حتى أتى بيت المقدس فنزل . فربط فرسه إلى صخرة ، ثم دخل فصلى مع الملائكة ، فلما قضيت الصلاة قالوا : يا جبريل من هذا معك ؟ قال : هذا محمد رسول الله خاتم النبيين ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجىء جاء .

ثم لقى أرواح الأنبياء فأثنوا على ربهم ، فقال إبراهيم عليه السلام : الحمد لله الذى اتخذنى خليلاً ، وأعطانى ملكًا عظيمًا ، وجعلنى أمة قانتا يؤتم بى وانقذنى من النار ، وجعلها علّى بردًا وسلامًا . ثم إن موسى عليه السلام أثنى على ربه فقال :

(٤٤) الحميم : الماء المغلى ، أو هو الحديد المغلى المذاب .
الغسّاق : ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم .

الحمد لله الذى كلمنى تكليمًا واصطفانى وأنزل علّى التوراة وجعل هلاك فرعون ونجاة بنى إسرائيل على يدى، وجعل من أمتى قومًا يهدون بالحق وبه يعدلون. ثم إن داود عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد الله الذى جعل لى ملكًا عظيمًا وعلمنى الزبور. وألان لىّ الحديد، وسخر لىّ الجبال يسبحن معى والطير، وآتانى الحكمة وفصل الخطاب. ثم إن سليمان عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد لله الذى سخر لىّ الريح وسخر لىّ الشياطين يعملون ما شئت من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب(٤٥) وقدور راسيات، وعلمنى منطق الطير، وآتانى من كل شىء فضلاً، وسخر لى جنود الشياطين والإنس والطير، وفضلنى على كثير من عباده المؤمنين، وآتانى ملكًا عظيمًا لا ينبغى لأحد من بعدى، وجعل ملكى ملكًا طيبًا ليس فيه حساب. ثم إن عيسى عليه السلام أثنى على ربه فقال: الحمد الله الذى جعلنى كلمته، وجعل مثلى مثل آدم خلقه من تراب ثم قال له: كن فيكون، وعلمنى الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وجعلنى أخلق من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وجعلَنى أبرىء الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله، ورفعنى وطهرنى وأعاذنى وأمى من الشيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان علينا سبيل.

قال: ثم إن محمدًا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أثنى على ربه فقال: كلكم أثنى على ربه، وإنى مثن على ربى، الحمد لله الذى أرسلنى رحمة للعالمين، وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وأنزل علىّ الفرقان فيه بيان لكل شىء، وجعل أمتى خير أمة أخرجت للناس، وجعل أمتى أمة وسطا، وجعل أمتى هم الأولين، وهم الآخرين، وشرح لى صدرى، ووضع عنى وزرى، ورفع لى ذكرى، وجعلنى فاتحًا وخاتمًا. قال أبو جعفر الرازى: خاتم للنبوة، فاتح للشفاعة يوم القيامة.

ثم أتى بآنية ثلاثة مغطاة أفواهها، فأتى بإناء منها فيه ماء، فقيل: اشرب منه، فشرب منه يسيرًا، ثم دفع إليه إناء آخر فيه لبن فقيل له: اشرب منه، فشرب حتى روى، ثم دفع إليه آخر منه خمر، فقيل له: اشرب، فقال: لا أريده قد رويت، فقال له جبريل: أما إنها ستحرم على أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا قليل.

(٤٥) جفان كالجواب، الجفان: جمع جَفْنَة وهى الإناء.
الجواب: جمع جابية.

ثم صعد به إلى السماء الدنيا فاستفتح ، قيل : من هذا ؟ قال : جبريل ، قيل : ومن معك ؟ قال : محمد ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حيّاه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ، ونعم المجيء جاء ، فدخل فإذا هو برجل تام الخلق لم ينقص من خلقه شيء كما تنقص من خلق الناس ، على يمينه باب يخرج منه ريح طيبة ، وعلى شماله باب يخرج منه ريح خبيثة ، إذا نظر إلى الذى عن يمينه ضحك واستبشر ، وإذا نظر إلى الباب الذى عن يساره بكى وحزن ، فقال : من هذا الشيخ ؟ وما هذان البابان ؟ قال : هذا أبوك آدم ، وهذا الباب الذى عن يمينه باب الجنة إذا نظر إلى من يدخله من ذريته ضحك واستبشر ، وهذا الباب الذى عن شماله باب جهنم إذا نظر إلى من يدخله من ذريته بكى وحزن .

ثم صعد به جبريل إلى السماء الثانية فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ فقال : جبريل ، قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد رسول الله ، قالوا : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم ، قالوا : حياه الله من أخ وخليفة ، فنعم الأخ ونعم الخليفة ونعم المجيء جاء ، فدخل فإذا هو بشابين ، فقال : يا جبريل ، من هذان الشابان ؟ قال : عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا ابنا الخالة .

فصعد به إلى السماء الثالثة فذكر مثل ذلك وقولهم له : نعم الأخ ونعم الخليفة ، وأنه لقى فى الثالثة يوسف ، والرابعة إدريس ، والخامسة هارون والسادسة موسى .

ثم صعد إلى السماء السابعة ، فإذا برجل أشمط جالس عند باب الجنة على كرسى وعنده قوم جلوس ، بيض الوجوه أمثال القراطيس ، وقوم فى ألوانهم شيء فدخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا منه خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً فاغتسلوا فيه فخرجوا قد خلص من ألوانهم شيء ، ثم دخلوا نهراً آخر فاغتسلوا فيه فخرجوا مثل ألوان أصحابهم . فقال : يا جبريل من هذا الأشمط ثم من هؤلاء البيض الوجوه ؟ ومن هؤلاء الذين فى ألوانهم شيء ؟ وما هذه الأنهار ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم أول من شمط[٤٦] على الأرض .

وهؤلاء البيض الوجوه قوم لم يلبسوا إيمانهم بظلم ، وأما هؤلاء الذين فى ألوانهم

(٤٦) شَمِط : شاب شعر رأسه .

شيء فقوم خلطوا عملاً صالحًا وأخر سيئًا فتابوا فتاب الله عليهم، وأما الأنهار فأولها رحمة الله، والثاني نعمة الله، والثالث سقاهم ربهم شرابًا طهورا .

ثم انتهى إلى السدرة، فقيل له: هذه السدرة ينتهي إليها كل أحد خلا من أمتك على سبيلك، فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها، والورقة منها مغطية للأمة كلها، فغشيها نور الخلائق وغشيتها الملائكة أمثال الغربان حين يقعن على الشجر، فكلمه تعالى عند ذلك فقال له: سل، فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلاً، وأعطيته ملكًا عظيمًا، وكلمت موسى تكليما، وأعطيت داود ملكًا عظيمًا، وألنت له الحديد وسخرت له الجبال وأعطيت سليمان ملكًا عظيمًا، وسخرت له الجن والإنس والشيطان، وسخرت له الرياح، وأعطيته ملكًا لاينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل، وجعلته يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذنك، وأعذته وأمه من الشَيطان الرجيم، فلم يكن للشيطان عليهما سبيل. فقال له ربه: قد اتخذتك حبيبًا وهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن، وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وشرحت لك صدرك، ووضعت عنك وزرك ورفعت لك ذكرك فلا أذكر إلا ذكرت معي، وجعلت أمتك خير أمة أخرجت للناس، وجعلت أمتك أمة وسطا، وجعلت أمتك هم الأولين وهم الآخرين، وجعلت أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلت من أمتك أقوامًا قلوبهم أناجيلهم، وجعلتك أول النبيين خلقًا، وآخرهم بعثًا، وأولهم يقضى له، وأعطيتك سبعًا من المثاني لم أعطها نبيًا قبلك، وأعطيتك خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لما أعطها نبيًا قبلك، وأعطيتك الكوثر، وأعطيتك ثمانية أسهم: الإسلام، والهجرة، والجهاد، والصلاة، والصدقة، وصوم رمضان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وجعلتك فاتحًا وخاتمًا وفرض عليه خمسين صلاة وذكر مراجعته بين موسى وربه، وفي آخره: وكان موسى من أشدهم عليه حين مر به، وخيرهم له حين رجع إليه. أخرجه الحاكم وغيره[٤٧]، ورجاله موثقون إلا أن أبا جعفر الرازي

---

(٤٧) دلائل النبوة: (٢/ ١٤٣). الطبري في التفسير: (١٥/ ٦).

=

وثقه بعضهم وضعفه بعضهم، وقال أبو زرعة: يهم كثيراً، وقال الحافظ ابن كثير: الأظهر أنه سيىء الحفظ(٤٨)، قال: وهذا الحديث فى بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة، وفيه شيء من حديث المنام الطويل الذى عند البخارى من رواية سمرة، والأشبه أنه مجموع من أحاديث شتى أو من منام وقصة أخرى غير الإسراء(٤٩).

***

(الحديث العاشر)

١٠- أخبرنى أبو الفضل بن عمر بقراءتى عليه:

أخبرنا أبو الفرج بن حماد، أخبرنا الحافظ قطب الدين الحلبى، أخبرنا العز الحرانى، أخبرنا أبو الفرج بن كليب أخبرنا على بن بيان أخبرنا محمد بن مخلد، أخبرنا أبو على الصفار، أخبرنا الحسن بن عرفة، حدثنا مروان بن معاوية الفزارى، عن قنان بن عبد الله النهمى، حدثنا أبو طبيان الجنبى، حدثنا أبو عبيدة - يعنى عن أبيه عبد الله بن مسعود - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

= وذكره السيوطى فى الدر المنثور (٤/ ١٤٤).

قلت: وهذا السياق عن أبى هريرة مُنْكَر؛ صَدّره ابن كثير بقوله (٥/ ٣١):

« رواية أبى هريرة رضى الله عنه، وهى مطوّلة جِداً، وفيها غرابة ».

وختمه بقوله (٥/ ٣٦).

« وهذا الحديث فى بعض ألفاظه غرابة ونكارة شديدة ».

قلت: ومداره على أبى جعفر الرازى، واسمه عيسى بن عبد الله بن ماهان التميمى. ترجمته فى: الجرح والتعديل: (٣/ ١/ ٢٨٠)، والميزان (٣/ ٣٢٠)، التهذيب لابن حجر (١٢/ ٥٦ وغيرها).

وهو ضعيف من قبل حفظه ساء حفظه، وهذا الحديث يضرب عندهم مثالاً على سوء حفظه واضطرابه. والله أعلم.

(٤٨) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦).

وأبو جعفر الرازى (عيسى بن ماهان) التميمى.

قال الذهبى فى الميزان (٣/ ٣٢٢، ٤/ ٥١٠).

« وروى حاتم بن إسماعيل - عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية - أو غيره - عن أبى هريرة، عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم - حديثًا طويلاً فى المعراج فيه ألفاظًا منكرة جداً ».

(٤٩) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦).

أتانى جبريل بدابة فوق الحمار ودون البغل، فحملنى عليها، ثم انطلق يهوى بنا كلما صعد عقبة استوت رجلاه مع يديه، وإذا هبط استوت يداه مع رجليه، حتى مررنا برجل طوال سبط آدم(٥٠) كأنه من رجال أزد شنوءة وهو يقول ويرفع صوته: أكرمته وفضلته، قال: فدفعنا إليه فسلمنا، فرد السلام، وقال: من هذا معك يا جبريل؟ قال: هذا أحمد قال: مرحبًا بالنبى الأمى العربى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لأمته، ثم اندفعنا، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا موسى بن عمران، قال: قلت: ومن يعاتب؟ قال: يعاتب ربه فيك، قلت: ويرفع صوته على ربه؟ قال: إن الله قد عرف له حدته.

ثم اندفعنا حتى مررنا بشجرة كأن ثمرها الثُّرُج تحتها شيخ وعياله، فقال لى جبريل: اعمد إلى أبيك إبراهيم، فدفعنا إليه فسلمنا عليه، فرد السلام، فقال إبراهيم: يا جبريل من هذا معك؟ قال: هذا ابنك أحمد، فقال: مرحبًا بالنبى الأمى الذى بلغ رسالة ربه ونصح لأمته، يابنى إنك لاق ربك الليلة، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفهم فإن استطعت أن تكون حاجتك أوجلها فى أمتك فافعل.

ثم اندفعنا حتى أتينا إلى المسجد الأقصى فنزلت فربطت الدابة بالحلقة التى كانت الأنبياء تربط بها ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين بين قائم وراكع وساجد ثم أتيت بكأسين من عسل ولبن فأخذت اللبن فشربته فضرب جبريل منكبى فقال: أصبت الفطرة. ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ثم انصرفنا فأقبلنا(٥١).

قال ابن كثير: إسناده غريب، وفيه من الغرابة أنه اجتمع بالأنبياء قبل دخوله المسجد الأقصى، والصحيح أنه إنما اجتمع بهم فى السماوات، ثم نزل إلى بيت المقدس ثانيًا وهم معه وصلى بهم فيه ثم ركب البراق ورجع إلى مكة(٥٢).

* * *

(٥٠) سبط: وصف للجسم بحسن القدّ والاستواء.
آدم: لونه يميل إلى الأُدْمة، وهى ما بين البياض والسواد. وهو لون الأرض.

(٥١) الخصائص الكبرى (١/ ٤٠٤).
وعزاه إلى ابن عرفة فى جزئه المشهور وأبى نعيم وابن عساكر.

(٥٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩).

=

(الحديث الحادى عشر)

١١ - قال محمد بن إسحاق فى مغازيه :

وحدثنى محمد بن السائب الكلبى ، عن أبى صالح ، عن أم هانىء بنت أبى طالب قالت :

ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة ، فصلى العشاء الآخرة ، ثم نام ونمنا ، فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال : « يا أم هانىء لقد صليت معك العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ، ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ، ثم صليت صلاة الغداة(٥٣) معكم الآن كما ترين »(٥٤) .

الكلبى متروك ساقط(٥٥) .

* * *

= وفى رواية أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه كلام طويل فزعمت طائفة أنه لم يسمع من أبيه شيئًا . منهم أبو حاتم فى المراسيل ، وهو الظاهر من ترجيح الحافظ .
لكن رجح الشيخ شاكر سماعه من أبيه فى كلام قرأته له قديمًا فى تعليقه على المسند ، وليس فى مقدورى الآن الرجوع إليه .

(٥٣) صلاة الغداة : هى الصبح .

(٥٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٤٠٢) .
الخصائص الكبرى (١/ ٤٣٨ ، ٤٣٩) .
وعزاه أيضًا إلى ابن هشام وابن جرير الطبرى .
وحديث أم هانىء هذا لا شيء لشأن الكلبى - كما فى الهامش التالى .

(٥٥) محمد بن السائب الكلبى (أبو النضر) الكوفى :
متروك متهم بالوضع وقد رمى بالرفض .
ضعفاء البخارى رقم (٣٢٢) .
ضعفاء النسائى رقم (٣٦٧) .
ضعفاء الدارقطنى رقم ٥١٤ الذهبى فى الميزان (٣/ ٥٥٩) .

(الحديث الثانى عشر)

١٢- وقال الطبرانى :

حدثنا عبد الله بن سعيد بن يحيى الرقى ، حدثنا أحمد بن أبى شيبة الرهاوى حدثنا أبو قتادة الحرانى ، حدثنا سفيان الثورى ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« لما كانت ليلة أسرى بى إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من أشجار الجنة لم أر فى الجنة شجرة هى أحسن منها حسنا ، ولا أبيض منها ورقة ، ولا أطيب منها ثمرة ، فتناولت ثمرة من ثمراتها فأكلتها ، فصارت نطفة من صلبى ، فلما هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممتُ ريح فاطمة »(٥٦) .

* * *

(٥٦) لم أجده فى معجم الطبرانى الكبير .
وهو فى الخصائص الكبرى (١/ ٤٣٧) .
وهذا حديث موضوع لاريب فى ذلك :
١ - فهو مخالف للواقع ، فإن خديجة توفيت قبل حادث المعراج ، وكانت قد ولدت أولاد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبناته .
٢ - أبو قتادة الحرانى متروك الحديث .
ولذلك ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات .
ملاحظة :
فى نسخة المرجع الصغير - شيخ الطبرانى هو : عبد الله بن سعد - وليس : ابن سعيد .

(الحديث الثالث عشر)

١٣- وقال أحمد :

حدثنا أبو النضر، حدثنا شيبان، عن عاصم، عن زر بن حبيش، قال : أتيت على حذيفة بن اليمان، وهو يحدث عن الإسراء، وهو يقول :

« . . .[٥٧] فانطلقا حتى أتيا بيت المقدس، فلم يدخلاه، ولا صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وما زايلا البراق حتى فتحت لهما أبواب السماء، فرأيا الجنة والنار ووعيد الآخرة، ثم عادا عودهما على بدئهما، ثم ضحك حتى بدت نواجذه، وقال : تحدثون أنه ربطه لا يفر منه، وإنما سخره له عالم الغيب والشهادة .

أخرجه الترمذى وصححه[٥٨] .

قال ابن كثير : وهذا الذى قاله حذيفة نفى، وما أثبته غيره من الصلاة فى بيت المقدس وربط الدابة بالحلقة مقدم عليه[٥٩] .

***

(٥٧) يعنى أن هناك كلامًا فات زرّ بن حُبَيْش - قبل أن يأتى مجلس حذيفة - رضى الله عنه - .
(٥٨) رواه أحمد : (٥/ ٣٨٧) .
الترمذى فى التفسير : (٥١١٥) .
وعزاه ابن كثير (٥/ ٢٠) إلى غيرهما .
وصححه الترمذى .
(٥٩) ابن كثير (٥/ ٢٠) .

(الحديث الرابع عشر)

١٤- وقال أحمد :

حدثنا محمد بن جعفر ، وروح ، قالا : حدثنا عوف ، عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

« لما كان ليلة أسرى بى وأصبحت بمكة فَظعْت بأمرى[٦٠] ، وعرفت أن الناس مُكَذّبىَّ ، فقعدت معتزلاً حزينًا ، قال : فمر بهَ عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس إليهَ فقال له كالمستهزىء : هل كان من شىء ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : نعم ، قال : وما هو ؟ قال : إنى أسرى بى الليلة ، قال : إلى أين ؟ قال : بيت المقدس ، قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم . فلم يرأنه يكذبه فخاف أن يجحده الحديث إن دعا قومه إليه ، قال : أرأيت إن دعوت قومك أتحدثهم بما حدثتنى ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : نعم . قال : هيا معشر بنى كعب بن لؤى هلموا ، قال : فانقضت إليه المجالس ، وجاؤوا حتى جلسوا إليهما . قال : حدث قومك بما حدثتنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إنى أسرى بى الليلة ، قالوا : إلى أين ؟ قال : إلى بيت المقدس ، قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟ قال : نعم ، قال : فمن بين مصفق ، ومن بين واضع يده على رأسه متعجبًا للكذب زعم ، قالوا : وهل تستطيع أن تنعت لنا المسجد ؟ وفى القوم من قد سافر إلى ذلك البلد ورأى المسجد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : فذهبت أنعت فما زلت أنعت حتى التبس علىّ بعض النعت ، قال : فجىء بالمسجد وأنا أنظر حتى وضع دون دار عقيل - أو عقال - فنعته ، وأنا أنظر إليه ، قال : وكان مع هذا نعت لم أحفظه . يقول عوف[٦١] - قال : فقال القوم : أما النعت فوالله لقد أصاب[٦٢] .

---

(٦٠) قطعتُ بأمرى : أثقلنى أمرى .

(٦١) عوَف : هو عوف بن جميلة الأعرابى .

(٦٢) المسند : (١/ ٣٠٩) .

والحديث صحيح رجال إسناده ثقات . قال الهيثمى فى المجمع (١/ ٦٥) .

« ورجال أحمد رجال الصحيح » .

(الحديث الخامس عشر)

١٥- وقال البيهقى :

أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ، أخبرنا مكرم بن أحمد القاضى ، حدثنا إبراهيم بن الهيثم البلدى ، حدثنا محمد بن كثير الصنعانى ، حدثنا مَعْمر بن راشد ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة قالت : لما أسرى بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصبح يحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه[٦٣] .

***

(٦٣) دلائل النبوة للبيهقى (٢/ ١١٢) .

حقيقة الإسراء والمعراج

الفصل الثاني

في حقيقته

اختلف في المعراج والإسراء؛ هل كانا في ليلة واحدة أم لا، وأيهما كان قبل الآخر، وهل كان في اليقظة أو المنام، أو بعضه في اليقظة وبعضه في المنام، وهل كان مرة أو مرتين أو مرات: فذهب الجمهور من المفسرين والمحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى أنهما وقعا في ليلة واحدة في اليقظة وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾[٦٤] .

لأن التسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء، ولما بادرت قريش إلى إنكاره، ولا ارتد جماعة من ضعفاء من أسلم، ولأن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد، ولو كان منامًا لم يقل بعبده بل بروح عبده، وليس في العقل ما يحيل ذلك أيضًا، ولأنه حمل على البراق والروح لا تحمل، وإنما يحمل البدن .

ويؤيده ما أخرجه أبو نعيم في الدلائل، من حديث محمد بن كعب القرظي، في شأن أبي سفيان مع هرقل قال[٦٥]: وأبو سفيان يجهد أن يحقر أمره ويصغر عنده قال: حتى ذكرت قوله ليلة أسرى به فقلت: أيها الملك ألا أخبرك خبرا تعرف أنه قد كذب؟ قال: وما هو؟ قلت: يزعم أنه خرج من أرضنا أرض الحرم فجاء هذا مسجد إيليا ورجع إلينا تلك الليلة قبل الصباح. وبَطْريق إيليا عن رأس قيصر فقال بطريق إيليا: قد علمت تلك الليلة. فنظر قيصر قال: مَا علمك بها؟ قال: إني كنت لا أنام ليلة حتى أغلق أبواب المسجد، فلما كان تلك الليلة أغلقت الأبواب كلها غير باب واحد غلبني فاستعنت عليه عمالي ومن يحضرني كلهم، فعالجته فغلبني فلم نستطيع أن نحركه كأنما نزاول به جبلا، فدعوت إليه النجاجرة[٦٦]، فنظروا إليه

---

(٦٤) أول سورة الإسراء .

(٦٥) البخاري : كتاب بدء الوحي .

(٦٦) النجاجرة : جمع نجار .

فقالوا : إن هذا باب سقط عليه البنيان ولا نستطيع أن نحركه حتى نصبح فننظر من أين أتى ، فرجعت وتركت البابين مفتوحين ، فلما عدوت عليها فإذا الحجر الذى من زاوية المسجد مثقوب ، وإذا فيه أثر ربط الدابة ، فقلت لأصحابى : ما حبس هذا الباب الليلة إلا على نبى ، وقد صلى الليلة فى مسجدنا[٦٦ب] وذهب جماعة إلى أن الإسراء كان بروحه فى المنام ، فقد كان معاوية يقول إذا سئل عن الإسراء : كانت رؤيا من الله صادقة . وقالت عائشة : ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإنما أسرى بروحه . رواهما ابن إسحاق فى السيرة[٦٧] . ولقوله تعالى : ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِى أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ** ﴾[٦٨] .

والرؤيا إنما تطلق على ما كان منامًا ، والظاهر فى بعض الأحاديث السابقة من قوله : « بينا أنا نائم » ، وفى بعض الطرق « فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام » . وأجيب عن الآية بأن قوله : ﴿ **فتنة للناس** ﴾ يريد أنها رؤيا عين ، إذ ليس فى الحلم فتنة ، ولا يكذب به أحد . وقيل : إن الآية نزلت فى غير قصة الإسراء وعن قوله : « بينا أنا نائم » . بأن أول مجىء الملك إليه وهو نائم . فأيقظه ، لاَ أنه استمر نائمًا . وأما قوله : « فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام » . فالمراد به الإفاقة البشرية من الغمرة الملكية ، على أن الحديث الذى ورد فيه ذكر النوم موهن فإنَ العلماء اتفقوا على أن شريكًا راويه اضطرب فيه وساء حفظه ، وزاد ونقص ، وقدم وأخر وأما قول عائشة : ما فقدت جسده ، فعائشة لم تكن حينئذ زوجة ، بل لعلها لم تكن ولدت بعد على الخلاف فى الإسراء متى كان ، فإنها كانت فى الهجرة بنت ثمانية أعوام ، وسيأتى تاريخ الإسراءَ بأقواله ، فإذا لم تشاهد ذلك دل على أنها حدثت به عن غيرها ، فلم يرجح خبَرها ، مع قول أم هانىء بخلافه ، على أن عائشة أنكرت أن يكون صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى ربه ، فدل على أن الإسراء كان يقظة ، إذ لو كان مناما لم تنكره .

(٦٦ب) الخصائص الكبرى للسيوطى (١/ ٤٢٣ - ٤٢٥) .
وانظر ابن كثير (٥/ ٣٩) .
ومحمد بن كعب : تابعى كبير . لكنه ليس صحابيًا ، فحديثه مرسل .
(٦٧) سيرة ابن هشام (٢/ ٥) .
(٦٨) سورة الإسراء آية : ٦٠ .

وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان فى اليقظة، والمعراج كان فى المنام، ولذلك لما أخبر به قريشًا كذبوه فى الإسراء واستبعدوا وقوعه، ولم يتعرضوا للمعراج، ولأن الإسراء ذكر فى القرآن فى معرض الامتنان، فلو كان متصلاً باليقظة إلى الملأ الأعلى لما اقتصر على قوله إلى المسجد الأقصى مع كون شأنه أعجب وأغرب .

وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان فى ليلة والمعراج فى ليلة متمسكًا بها فى بعض الأحاديث من ترك ذكر الإسراء، ورد بأنه محمول على أن بعض الرواة ذكر ما لم يذكره الآخر، وتمسك أيضًا بما رواه ابن سعد(٦٩) :

أنه كان عليه السلام يسأل ربه أن يريه الجنة والنار، فلما كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نائم فى بيته أتاه ميكائيل وجبريل فقالا : انطلق إلى ما سألت الله فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم فأتى بالمعراج فإذا هو أحسن شيىء منظرًا فعرجا به إلى السماوات، الحديث(٧٠) .

وذهب آخرون إلى أن ذلك كله وقع مرتين، مرة فى المنام توطئة وتمهيدًا وتسهيلاً عليه، كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة ومرة ثانية فى اليقظة، قالوا : وبذلك يجمع بين الأحاديث، وممن اختار هذا القول أبو نصر القشيرى، وابن العربى والسهيلى(٧١) .

وجوز بعض أصحاب هذا القول أن تكون قصة المنام وقعت قبل البعث لأجل ما فى رواية شريك، وذلك قبل أن يوحى إليه .

وقيل : إن الإسراء وقع مرتين : مرة على انفراده، ومرة مضمومًا إليه المعراج، وكلاهما فى اليقظة، والمعراج أيضًا وقع مرتين مرة وقع فى المنام على انفراده توطئة، ومرة فى اليقظة مضمومًا إليه الإسراء .

وذهب الإمام أبو شامة إلى وقوع المعراج مرارًا واستند إلى حديث أنس الذى أخرجه البزار السابق .

(٦٩) الطبقات الكبرى (١/ ٢١٣) .
(٧٠) هذا الحديث ضعفوه بأبى بكر بن محمد بن أبى سبرة .
(٧١) لا يحتاج لمثل هذا الجمع . بل نرى فيه تكلفًا لا تحتمله سياق القصة .

قال شيخ الإسلام ابن حجر :

وتعدّد مثل تلك القصة التى فيه لا تستبعد وإنما المستبعد وقوع التعدد الذى فى قصة المعراج التى وقع فيها سؤاله عن كل نبى ، وسؤال أهل كل باب وسماء : هل بعث إليه ؟ وفرض الصلوات ، وغير ذلك ، فإن تعدد ذلك فى اليقظة لا يتجه ، ولا يبعد وقوع ذلك كله فى المنام توطئة ، ثم فى اليقظة على وفقه .

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام :

كان الإسراء فى النوم واليقظة وقع بمكة والمدينة : قال شيخ الإسلام ابن حجر : وهو غريبَ إلا أن يريد تخصيص المدينة بالنوم ويكون فى كلامه لف ونشر غير مرتب ، ويكون الإسراء الذى اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلاة فى اليقظة بمكة ، والآخر فى المنام بالمدينة . قال : وينبغى أن يزاد فيه أن الإسراء فى المنام تكرر فى المدينة ، انتهى[٧٢] .

* * *

(٧٢) فتح البارى (٧/ ١٩٨) .

تاريخ الإسراء والمعراج

الفصل الثالث

فى تاريخه

وهو قسمان : الأول الزمانى : –

فقيل : كان قبل البعثة ، وهو شاذ ، وسبق تأويله . ولعل قائله تمسك بحديث الطبرانى السابق فإنه صرح فيه أنه قبل ولادة فاطمة ، وهى ولدت قبل النبوة بسبع سنين وشىء ، لكن الحديث ضعيف ، والأكثر أنه بعدها ثم اختلف .

فقيل : قبل الهجرة بسنة : قاله ابن مسعود ، وجزم به النووى وقيل : قبلها بثمانية أشهر ، حكاه ابن الجوزى .

وقيل : بستة أشهر ، حكاه أبو الربيع بن سالم .

وقيل : بأحد عشر شهرًا ، قاله إبراهيم الحربى ، ورجحه ابن المنير .

وقيل : بخمسة عشر شهرًا ، حكاه ابن فارس .

وقيل : بسبعة عشر ، قاله السدى .

وقيل : بثمانية عشر ، حكاه ابن عبد البر .

وقيل : بعشرين .

وقيل : بثلاث سنين ، حكاه ابن الأثير .

وقال الزهرى : بخمس ، حكاه عنه القاضى عياض ، ورجحه بالاتفاق على أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ، وأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث أو خمس ولا خلاف أن فرضها ليلة الإسراء ، وأجيب بأن الصلاة التى صلتها معه هى التى كانت أول البعثة ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى .

وقيل : كان بعد البعثة بخمس سنين .

وقيل : بخمسة عشر شهرًا .

وقيل : بعام ونصف وأما الشهر الذى كان فيه .

فالذى رجحه ابن المنير على قوله فى السنة ربيع الآخر، وجزم به النووى فى شرح مسلم .

وعلى القول الأول فى ربيع الأول، وجزم به النووى فى فتاويه .

وقيل : فى رجب وجزم به فى الروضة .

وقال الواقدى : فى رمضان .

والماوردى : فى شوال .

لكن المشهور أنه فى رجب .

وأما تعيين تلك الليلة من الشهر .

فعينها ابن سعد ليلة السبت لسبع عشرة من رمضان .

وقال ابن المنير الحربى : أنها ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر، وبذلك رجح القول بأنه فى ربيع الآخر قبل الهجرة بأحد عشر شهرًا لأنه أحاط بتفصيل القضية وحررها بخلاف غيره .

قال - أعنى ابن المنير :

« ويمكن أن يعين اليوم الذى أسفرت عنه هذه الليلة، ويكون يوم الاثنين استقراء من تاريخ الهجرة فإنها على الأصح كانت يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الأول، وإذا كان الثانى عشر يوم الاثنين . فأوله الخميس قطعًا، وإذا كان أوله الخميس فأول ربيع الأول من السنة التى قبلها وهى التى فيها الإسراء أى على ما رجحه إما السبت أو الأحد أو الاثنين، لأن كل يومين متقابلين منَ سنتين متتواليتين بينهما ثلاثة أو أربعة أو خمسة، ولهذا تكون الوقفة من كل سنة خامس يوم من التى قبلها أو سادسه أو سابعه، وأعدل الاحتمالات الأول، فالجمعة تعقبها الثلاثاء، والاثنين تعقبها الجمعة، وقد يكون بخلاف ذلك بحسب توالى التمام والنقصان فى الشهور فتبنى على الأقل الأغلب فيكون أول ربيع الأول من سنة الإسراء الاثنين ويكون أول ربيع الآخر وهو شهر الإسراء الأربعاء بفرض ربيع الأول تمامًا، وحينئذ فالسابع والعشرون منه الاثنيَن، وهو اليوم الذى أسفرت ليلة الإسراء عنه إن شاء الله، وحينئذ يوافق كون مولده يوم الاثنين (ومبعثه يوم الاثنين . وكذا هجرته ووفاته، فإن

هذه الخمسة أطوار الانتقالات النبوية) واتفق على أربعة منها أنها يوم الاثنين، فيقرب جدًا فى الخامس أن يكون أسوتها وتكون يوم الاثنين فى حقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كيوم الجمعة فى حق آدم عليه السلام فإنه فيه خلق، وفيه نزل إلى الأرض، وفيه تيب عليه، وفيه مات. هذا كلام ابن المنير، ثم قال :

« وقد ورد أنها كانت ليلة « الجمعة » وهذا نقل محض يحتاج إلى الصحة وهو لائق بالإسراء لأجل فضيلة الجمعة قلت : لكن فيه وقفة، فإنه صح أن جبريل صلى بالنبى صَلى الله عليه وعلى آله وسلم أول يوم بعد الإسراء الظهر ولو كان يوم الجمعة لم يكن فرضها الظهر، إلا أنه يحتمل أن تكون الجَمعة لم تفرض بعد، ويبعد هذا الاحتمال أن الجمعة أقيمت بالمدينة قبل الهجرة أقامها أسعد بن زرارة والإسراء على هذا القول قريب من الهجرة فيبعد أن تكون الجمعة لم تفرض حينئذ وقدَ كان الإسلام حينئذ فشا وكثر المسلمون. فلا يقال : لعل عدد الجمعة لم يكن موجودًا، واَلله أعلم » .

وأما التاريخ المكانى : فباعتبار البلد، المشهور أنه بمكة، ومن قال بالمدينة فمحمول على التعدد والمنام وباعتبار المكان الخاص، فيؤخذ مما تقدم فى الأحاديث أقوال :

فقيل : فى المسجد .

وقيل : بين المقام وزمزم .

وقيل : فى الحجر .

وقيل : فى بيته .

وقيل : فى بيت أم هانىء .

وفى الشفاء : ما يؤخذ منه أنه كان فى بيت خديجة .

وقيل : فى شعب أبى طالب، رواه الواقدى .

***

النكت والفوائد المتعلقة بها

الفصل الرابع

فى نكتـه

وهى كثيرة، والذى اخترناه منها هنا عشرون نكتة :

الأولى : تكلم الناس فى الحكمة فى الإسراء به أولاً : إلى بيت المقدس قبل المعراج فقيل : ليحصل العروج مستويًا من غير تعريج لما روى عن كعب الأحبار أن باب السماء الذى يقال له مصعد الملائكة يقابل بيت المقدس، قال : وهو أقرب من الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا .

وقيل : ليجمع تلك الليلة بين القبلتين .

وقيل : لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله فحصل له الرحيل إليه فى الجملة ليجمع بين أشتات الفضائل .

وقيل : لأنه محل الحشر وغالب ما اتفق له فى تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية فكان المعراج منه أليق .

وقيل : للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسًا ومعنى .

وقيل : لإرادة إظهار الحق على من عاند، لأنه لو عرج به من مكة إلى السماء لم يجد لمعاندة الأعداء سبيلا إلى البيان والإيضاح، فلما ذكر عليه الصلاة والسلام أنه أسرى به إلى بيت المقدس، سألوه عن جزئيات من بيت المقدس كانوا رأوها وعلموا أنه لم يكن رآها قبل ذلك، فلما أخذهم بها حصل التحقيق بصدقه فيما ذكر من الإسراء إلى بيت المقدس فى ليلة، وإذا صح خبره فى ذلك لزم تصديقه فى بقية ما ذكره .

الثانية : استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء : وقال : إنما كان ذلك وهو صغير فى بنى سعد، كما قال أحمد :

حدثنى حيوة ويزيد بن عبد ربه، قالا : حدثنا بقية، حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان، عن ابن عمرو السلمى، عن عتبة بن عبد السلمى، أنه حدثهم، أن

رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : كيف كان أول شأنك يا رسول الله ؟ قال :

« كانت حاضنتى من بنى سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها فى بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت : يا أخى اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخى ومكثت عند البهم، فأقبل طيران أبيضان، كأنهما نسران، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : نعم، فأقبلا يبتدرانى فأخذانى فبطحانى إلى القفا، فشقا بطنى ثم استخرجا قلبى فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين. فقال أحدهما لصاحبه (قال يزيد فى حديثه) : ائتنى بماء ثلج فغسلا به جوفى، ثم قال : ائتنى بماء برد فغسلا به قلبى، ثم قال : ائتنى بالسكينة فذراها فى قلبى، ثم قال أحدهما لصاحبه : خِطْهُ، فَخَاطَهُ وختم عليه بخاتم النبوة . . . . الحديث » وقال ابن دحية فى معراجه وابن المنير وغيرهما : الصحيح أن شق الصدر مرتان .

قال شيخ الإسلام ابن حجر :.بل ثلاث مرات، فقد ثبت أيضًا عند البعثة كما أخرجه أبو نعيم فى الدلائل، ولكل حكمة .

فالأول كان فى زمن الطفولية، لينشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ثم عند البعث زيادة فى إكرامه ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوى فى أكمل الأحوال من التطهير :

ثم عند الإسراء ليتأهب للمناجاة .

قال - أعنى شيخ الإسلام :

ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل لتقع المبالغة فى الإسباغ لحصول المرة الثالثة كما هى فى شرعه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الطهارة .

قلت :

وهذه الحكمة من أعظم الحكم وألطفها وأدقها، وحقها أن تكتب بماء الذهب على صفحات القلوب لارتفاع محلها .

ثم قال شيخ الإسلام :

وهذا الذى ذكر من شق الصدر واستخراج القلب مما يجب التسليم له ، ولا يصرف عن حقيقته لصلاحية القدرة ، فلا يستحيل شىء من ذلك .

قلت :

والأمر كذلك ويؤيده الحديث الصحيح أنهم كانوا يرون أثر المخيط فى صدره الشريف ، وما وقع من بعض جهلة العصر من إنكار ذلك وحمله على الأمر المعنوى وإلزام قائله القول بقلب الحقائق الممتنع ، فهو جهل صريح ، وخطأ قبيح ، نشأ من خذلان الله تعالى لهم ، وعكوفهم على العلوم الفلسفية وعدم إحاطتهم بالقدرة الربانية ، وبعدهم عن دقائق السنة ، عافانا الله من ذلك .

قال ابن المنير :

وشق الصدر له صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصبره عليه من جنس ما ابتلى به الذبيح وصبر عليه ، بل هذا أشق وأجلّ لأن تلك معاريض وهذه حقيقة وأيضًا فقد تكرر ووقع له وهو رضيع يتيم بعيد من أهله عليه الصلاة والسلام ، وقد اختلف هل كان شق الصدر وغسله مخصوصًا به أو وقع لغيره من الأنبياء .

الثالثة : الحكمة فى انفراج سقف بيته الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره وأنه سيلتئم بلا معالجة .

الرابعة : الحكمة فى اختصاص الطست أنه أشهر آلات الغسل عرفا . والذهب لأنه أعلى أنواع الأوانى وأصفاها ، ولأن فيه خواص ليست فى غيره منها أنه من أوانى الجنة ، وأنه لا تأكله النار ولا التراب ولا يصدأ ، وأنه أثقل الجواهر فناسب ثقل الوحى .

وقال السهيلى وابن دحية :

إن نظر إلى لفظ الذهب ناسب من جهة إذهاب الرجس عنه ، ولكونه وقع عند الذهاب إلى ربه وإن نظر إلى معناه فلوضائته ونقائه وصفائه ولثقله والوحى ثقيل وأما تحريم استعماله فهو مخصوص بأحوال الدنيا وذلك كان من أحوال الغيب فيلتحق بأمور الآخرة .

الخامسة : قال ابن المنير : **إنما كان الإسراء ليلاً لأنه وقت** الخلوة والاختصاص عرفًا ، ولأنه وقت الصلاة التى كانت مفروضة عليه فى قوله تعالى : ﴿ **قم الليل** ﴾[٧٣] .

وليكون أبلغ للمؤمن فى الإيمان بالغيب وفتنة للكافر ولأن الليل محل الاجتماع بالأحباب قال ابن دحية : ولإبطال قول الفلاسفة : إن الظلمة من شأنها الإهانة والشر ، وكيف يقولون ذلك مع أن الله تعالى أكرم أقوامًا فى الليل بأنواع الكرامات كقوله فى قصة إبراهيم : ﴿ **فلما جن عليه الليل** ﴾[٧٤] إلى آخره .

وفى لوط : ﴿ **فأسر بأهلك بقطع من الليل** ﴾[٧٥] .

وفى موسى : ﴿ **وواعدنا موسى ثلاثين ليلة** ﴾[٧٦] .

وناجاه ليلاً وأمره بإخراج قومه ليلاً فى قوله : ﴿ **فأسر بعبادى ليلا** ﴾[٧٧] .

واستجابة دعاء يعقوب فيه وهو المراد فى قوله : ﴿ **سوف استغفر لكم ربى** ﴾[٧٨] .

قال المفسرون : أخره إلى وقت السحر من ليلة الجمعة وأظهر منه انشقاق القمر آية له صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإيمان الجن به وتبليغه إياهم الوحى كان ليلاً مع تفصيل الليل بسبقه النهار أى تقدمه فى الخلق والابتداء به فى جميع آى القرآن وسبق الليلة يومها إلا عرفة وفيه ساعة الإجابة وهى فى كل الليالى بخلاف الأيام فهى منها فى الجمعة فقط ، وفى الليالى ليلة خير من ألف شهر وهى ليلة القدر وليس فى الأيام يوم كألف شهر فضلاً عن أن يكون خيرًا منها وأطيب السمر ليلاً لخلو الفكر فيه وألذ الوصال ليلاً بل هو وقته لقوله تعالى : ﴿ **وهو الذى جعل لكم الليل لباسًا** ﴾[٧٩] . وإشراق القمر فيه بخلاف النهار .

السادسة : قال ابن المنير : **كانت كرامته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى المناجاة على سبيل المفاجأة كما أشار إليه بقوله**: بينا أنا ، وفى حق موسى عن ميعاد

---

(٧٣) من سورة المزمل آية / ٢ .
(٧٤) من سورة الأنعام آية / ٧٦ .
(٧٥) من سورة هود آية / ٨١ .
(٧٦) من سورة الأعراف آية / ١٤٢ .
(٧٧) من سورة الدخان آية / ٢٣ .
(٧٨) من سورة يوسف آية / ٩٨ .
(٧٩) من سورة الفرقان آية / ٤٧ .

واستعداد، فحمل عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ألم الانتظار .

السابعة : قال أيضًا : يؤخذ من وقيل : ﴿ **أسرى بعبده** ﴾ ما لا يؤخذ أن لو قيل : بعث إلى عبده لأن الباء تفيد المصاحبة أى صحبه فى مسراه بالإلطاف والعناية والإسعاف .

الثامنة : قال ابن دحية : المعراج سلم من زمردة خضراء وقال شيخ الإسلام ابن حجر :

روى كعب أنه مرقاة من فضة، ومرقاة من ذهب . وروى ابن سعد أنه منضد باللؤلؤ .

التاسعة : سبق فى الأحاديث اختلاف فى أنه صلى ببيت المقدس بالأنبياء قبل العروج أو بعده، وأن ابن كثير صحح أنه بعده، وصحح القاضى عياض وغيره أنه قبله .

ويحتمل أنه كان بالأرواح خاصة أو بها مع أجسادها وأما رؤيته لهم فى السماء فمحمولة على رؤية أرواحهم وأنها تشكلت بصورة أجسادهم إلا عيسى عليه السلام لأنه رفع بجسده، وكذلك إدريس أيضًا أو أحضرت أجسادهم لملاقاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم تشريفًا وتكريمًا .

العاشرة : وقع اختلاف أيضًا فى تقديم الأوانى له هل هو قبل العروج أو بعده قال ابن كثير وغيره : ولعله قدمت له مرتين لأنها ضيافة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم والضيافة من الكريم تكون أكثر من آنين خصوصًا لمن يحب .

الحادية عشرة : الصحيح الذى تقرر من الأحاديث الصحيحة أن العروج كان فى المعراج لا على البراق، وتمسك بعضهم ببعض الروايات السابقة فقال : إنه عرج عليه فبلغ السماوات السبع فى سبع خطوات لأنه يضع حافره عند منتهى طرفه .

الثانية عشرة : قال ابن المنير : ذكر ابن حبيب أن بين السماء والأرض بحرًا يسمى المكفوف يكون بحر الأرض بالنسبة إليه كالقطرة من البحر المحيط فعلى هذا يكون ذلك البحر انفلق لنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم . حتى جاوزه فهو أعظم من انفلاق البحر لموسى عليه الصلاة والسلام .

الثالثة عشرة : استفتاح جبريل أبواب السماء لأنها كانت مغلقة وإنما لم تهيأ له بالفتح قبل مجيئه . وإن كان أبلغ فى الإكرام - لأنه لو رآها مفتحة لظن أنها لا تزال كذلك . ففعل ذلك ليعلم أن ذلك لأجلَه تشريفًا ، ولأن الله أراد أن يطلعه على كونه معروفًا عند أهل السماوات أيضًا ، لأنه قيل لجبريل لما قال محمد : أبعث إليه ؟ ولم يقل : ومن محمد ؟ مثلاً .

الرابعة عشرة : قول الخازن : أبُعث إليه ؟ ليس استفهامًا عن أصل البعث لأنه مشهور فى الملكوت الأعلى بل البعث للمعراج .

قال شيخ الإسلام ابن حجر :

وفى قوله لجبريل : ومن معك ؟ دليل على أنه أشعر بأن معه رفيقًا وإلا لقال : أمعك أحد وذلك إما بمشاهدة لكون السماء سفاقة ، أو بأمر معنوى كزيادة أنوار أو نحوها تشعر بتجديد أمر يحسن معه السؤال بهذه الصيغة .

الخامسة عشرة : الأضبط فى الروايات فى محل الأنبياء :

أن آدم فى السماء الأولى .

ويحيى وعيسى فى الثانية .

ويوسف فى الثالثة .

وإدريس فى الرابعة .

وهارون فى الخامسة .

وموسى فى السادسة .

وإبراهيم فى السابعة .

واختلف فى الحكمة فى اختصاص كل منهم بالسماء التى التقاه فيها . فقيل : لا حكمة فى ذلك ، وإنما أمروا بملاقاته فمنهم من سبق ومنهم من لحق . وقيل : بل للإشارة إلى تفاصيل درجاتهم .

وقيل : الحكمة فى الاقتصار على المذكورين الإشارة إلى ما سيقع له صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع قومه من نظير ما وقع لكل منَهم .

فـأمـا آدم : فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض، بما سيقع له صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الهجرة إلى المدينة، والجامع بينهما ما حصل منهما من المشقة وكراهة فراق مألفه من الوطن ثم كان عاقبة كل منهما أن رجع إلى موطنه الذى أخرج منه .

وبعـيسى ويحـيى : على ما وقع له أول الهجرة من عداوة اليهود وتمالؤهم على البغى عليه، وإرادتهم وصول السوء إليه .

وبيـوسف : على ما وقع له من إخوته من قريش من نصبهم الحرب له وإرادتهم هلاكه . وكانت العاقبة له، وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح أقول كما قال أخى يوسف : ﴿ **لا تثريب عليكم** ﴾[٨٠] .

وبإدريس : على رفع منزلته عند الله .

وبهارون : على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه .

وبموسى : على ما وقع له من معالجة قومه وقد أشار إلى ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام : « لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر » .

وبإبـراهيـم : فى استناده إلى البيت المعمور بما ختم له صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى آخر عمره من إقامة منسك الحج وتعظيم البيت ذكر ذلك السهيلى واستحسنه شيخ الإسلام ابن حجر .

وقد ذكر فى مناسبة لقاء إبراهيم فى السابعة معنى لطيف آخر، وهو ما اتفق له صلى الله عليه وعلى آله وسلم من دخول مكة فى السنة السابعة وطوافه بالبيت ولم يتفق له الوصول إليها بعد الهجرة قبل هذه بل قصدها فى السنة السادسة فصد عن ذلك .

وقال ابن أبى جمرة :

الحكمة فى كون آدم فى الأولى أنه أول الأنبياء وأول الآباء وهو أصل فكان أولاً فى الآباء، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة وعيسى فى الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهدًا من

(٨٠) من سورة يوسف آية / ٩٢ .

محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ويليه يوسف لأن أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدخلون الجنة على صورته، وإدريس قيل: لأنه أول من قاتل للدين فلعل المناسبة فيه الإذن للنبى عليه السلام بالمقاتلة ورفعه بالمعراج لقوله تعالى: ﴿ **ورفعناه مكانا عليًا** ﴾(٨١) والرابعة من السبع وسط معتدل وهارون لقربه من أخيه موسى وموسى أرفع منه لفضل كلام الله، وإبراهيم لأنه الأب الأخير فناسب أن يتجدد للنبى بلقياه أنس لتوجهه بعده إلى عالم آخر وأيضًا فمنزلة الخليل تقتضى أن تكون أرفع المنازل ومنزلة الحبيب أرفع فلذلك ارتفع عنه إلى قاب قوسين أو أدنى.

السادسة عشرة: قيل: اقتصر الأنبياء على وصفه بالصالح وتواردوا عليها لأن الصلاح تشمل خلال الخير ولذا كررها كل منهم عند كل صفة.

السابعة عشرة: قال العلماء: لم يكن بكاء موسى وقوله ما قال حسداً معاذ الله فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين فكيف لمن اصطفاه الله، بل أسفا على ما فاته من الأجر الذى يترتب عليه رفع الدرجة بسبب ما وقع من أمته من كثرة المخالفة المقتضية لنقص أجورهم المستلزمة لنقص أجره، لأن لكل نبى مثل أجر من تبعه، ولهذا كان من اتبعه دون عدد من اتبع نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع طول مدتهم.

وأما قوله: غلام. فهو على سبيل التنويه بعظمة الله وقدرته وعظيم كرمه إذ أعطى من كان فى ذلك السن ما لم يعطه أحدًا قبله ممن هو أسن منه لا على سبيل التنقيص. قال الخطابى: والعرب تسمى الرجل المستجمع السن غلامًا ما دامت فيه بقية من القوة، قال شيخ الإسلام ابن حجر: ويظهر لى أن موسى عليه السلام أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا عليه الصلاة والسلام من استمرار القوة فى الكهولة إلى أن دخل فى أول سن الشيخوخة، ولم يدخل فى بدنه هرم، ولا اعترى قوته نقص حتى أن الناس فى قدومه المدينة لما رأوه مردفًا أبا بكر أطلقوا عليه اسم الشاب وعلى أبى بكر اسم الشيخ مع كونه فى العمر أسن منه.

الثامنة عشرة: قال القرطبى: الحكمة فى تخصيص موسى بمراجعته النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: فى أمر الصلوات لعلها لكون أمة موسى كلفت من

(٨١) من سورة مريم آية / ٥٧.

الصلوات بما لم يكلف به غيرها من الأمم فثقلت عليهم فأشفق موسى على أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مثل ذلك ، ويشير إليه قوله : إنى قد جربت الناس قبلك .

وقال شيخ الإسلام ابن حجر :

يحتمل أن يكون موسى لما غلب عليه فى الابتداء الأسف على نقص حظ أمته بالنسبة إلى أمة محمد حتى تمنى استدراك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه فى الابتداء .

التاسعة عشرة : اختلف هل رأى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه ليلة المعراج على قولين مشهورين : فأثبت ذلك ابن عباس وطائفة ، وأنكرته عائشة .

والصحيح ثبوتها :

قال أحمد : حدثنا الأسود بن عامر ، حدثنا حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « رأيت ربى تبارك وتعالى »(٨٢) .

وقال الطبرانى : حدثنا الهيثم بن خلف . حدثنا يزيد بن عمر بن البراء القنوى ، حدثنا حفص بن عمر العدنى ، حدثنا موسى بن سعد ، عن ميمون العباد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : نظر محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى ربه تبارك وتعالى : قال عكرمة فقلت لابن عباس : نظر محمد إلى ربه ؟ قال : نعم ، جعل الكلام لموسى والخلة لإبراهيم ، والنظر لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

أخرجهما الحاكم فى المستدرك(٨٣) .

العشرون : ذكر ابن المنير المعراج فقسمه إلى عشرة معاريج بعدد سنى الهجرة فذكر السبعة إلى السبع سموات وذكر مناسبته للسبع الأول من الهجرة كما تقدم .

---

(٨٢) خرجه الإمام أحمد فى المسند : (٤/ ٢٠١) . وصححه شاكر برقم (٢٥٨٠) .

(٨٣) خرجه الحاكم فى المستدرك - كما قال المصنف : (٢/ ٣١٦ ، ٤٦٩) .

قال : والثامن المعراج إلى سدرة المنتهى التى ينتهى إليها ما يعرج من الأرض وما ينزل من السماء ، قال : ومناسبته للثامنة من الهجرة أنها اشتملت على فتح مكة[٨٤] وهى أم القرى وإليها المنتهى وقد غشيها أى السدرة الجراد وهو جند من جنود الله كما فى الحديث ، كما غشى مكة فى الفتح جند الله وحزبه .

والتاسع : المعراج إلى المستوى الذى سمع فيه صريف الأقلام أى صريرها فى الصحف وهذه الكتابة انتساخ من الأصل القديم المقرر الذى جف القلم منه بما هو كائن ومناسبته للسنة التاسعة أن فيها غزوة تبوك فخرج النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى ثلاثين ألفا ، وأعلم الناس بها ولم يور ليتأهبوا لها ومع هذا الاستشهاد والاستعداد لم يلق فيها حربًا ولا فتح بلدًا فانتسخ العزم بالقدر وجفاف القلم .

والعاشر : المعراج إلى الرفرف وحينئذ لقى الله وسمع الخطاب وحضر حضرة الأنس ومناسبته للعام العاشر أمر بين واضح لأن فيه لقاء البيت وإكمال الدين . وإتمام النعمة على المسلمين وعقبة لقاء رب البيت والانتقال إلى دار البقاء والعروج بالروح الكريمة إلى المقعد الصدق والوعد الحق .

والحمد لله رب العالمين حمدًا يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وآله وصحبه الطيبين الطاهرين والحمد لله وحده .

---

(٨٤) فى السنة الثامنة للهجرة حدث غير فتح مكة ما يلى :
* تمت أول ملاقات بين المسلمين والروم البيزنطيين واستشهد من المسلمين جمع من القواد ، منهم زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة ، وجعفر بن أبى طالب .
* أسلم أبو سفيان بن حرب فى جماعة .
* ولد إبراهيم ابن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
* لد أبو إدريس الخَوْلانى فقيه الشام ومحدثها .
وعبد الله بن عامر أحد السبعة القراء وأعلاهم سندًا .
* توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
* وتوفى بالطاعون الملك قباذ الثانى ملك فارس .
وبهذا يتم تهمشينا على « الإسراء والمعراج » وهو « الآية الكبرى بشرح قصة الإسراء » للإمام السيوطى .

﴿ ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ﴾

سياقة الأحاديث

* أحاديث البخاري مختصرة الإسناد.

* زيادات الحافظ عن غير البخاري.

الإسراء والمعراج

للحافظ ابن حجر العسقلاني

وهو شرحه لهذا الباب
في البخاري رتبه حسب المعاني والموضوعات

خرج أحاديثه
أبو عبد الله القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

روى البخارى رضى الله عنه بسنده :

١ - عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لما كذبتني قريش قمت فى الحجر فجلى الله لى بيت المقدس ، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه » .

٢ - زاد فى رواية : « لما كذبتنى قريش حين أسرى بى إلى بيت المقدس . . . » نحوه .

٣ - وعن أبى هريرة : (أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن ، فنظر إليهما ، فأخذ اللبن . قال جبريل : الحمد لله الذى هداك للفطرة ، لو أخذت الخمر غوت أمتك) .

٤ - عن أنس عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه أن نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حدثه عن ليلة أسرى به قال : « بينما أنا فى الحطيم - وربما قال فى الحجر - مضطجعًا ، إذ أتانى آت فقد - قال : وسمعته يقول : فشق - ما بين هذه إلى هذه - فقلت للجارود وهو إلى جنبى : ما يعنى به ؟ قال : من ثغرة نحره إلى شعرته . وسمعته يقول : من قصه إلى شعرته - فاستخرج قلبى ، ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيمانًا ، فغسل قلبى ، ثم حشى ، ثم أعيد . ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار ، أبيض فقال له الجارود : هو البراق يا أبا حمزة ؟ قال أنس : نعم - يضع خطوه عند أقصى طرفه ، فحملت عليه .

فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح ، فقيل : من هذا ؟ قال جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، فنعم المجىء جاء ، ففتح . فلما خلصت ، فإذا فيها آدم . فقال : هذا أبوك آدم ، فسلم عليه فسلمت عليه ، فرد السلام ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الثانية ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل .

قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء . ففتح ، فلما خلصت إذا بيحيى وعيسى ، وهما ابنا خالة . قال : هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما . فسلمت فردًا . ثم قالا : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى إلى السماء الثالثة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم قيل : مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء ، ففتح . فلما خلصت إذا يوسف . قال : هذا يوسف فسلم عليه فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : أوقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء . ففتح ، فلما خلصت فإذا إدريس قال : هذا أدريس فسلم عليه . فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة ، فاستفتح . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قيل : مرحبًا به ، فنعم المجيء جاء . فلما خلصت ، فإذا هارون . قال : هذا هارون فسلم عليه . فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح .

ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة ، فاستفتح قيل من هذا ؟ قال : جبريل قيل : من معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ قال : نعم . قال : مرحبًا به فنعم المجيء جاء . فلما خلصت فإذا موسى . قال : هذا موسى فسلم عليه . فسلمت عليه ، فرد ثم قال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح . فلما تجاوزت بكى ، قيل له : ما يبكيك ؟ قال : أبكى لأن غلامًا بعث بعدى ، يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى .

ثم صعد بى إلى السماء السابعة ، فاستفتح جبريل . قيل : من هذا ؟ قال : جبريل . قيل : ومن معك ؟ قال : محمد . قيل : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قال : مرحبًا به ونعم المجيء جاء . فلما خلصت ، فإذا إبراهيم . قال : هذا أبوك فسلم

عليه. قال: فسلمت عليه، فرد السلام، ثم قال: مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح.

ثم رفعت إلى سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان، فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات.

ثم رفع لى البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن، فقال: هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك.

ثم فرضت على الصلاة: خمسين صلاة كل يوم. فرجعت، فمررت على موسى، فقال: بما أمرت؟ قلت: أمرت بخمسين صلاة كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإنى والله قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. فرجعت، فوضع عنى عشرًا. فرجعت إلى موسى، فقال مثله. فرجعت فوضع عنى عشرًا. فرجعت إلى موسى فقال مثله. فرجعت، فأمرت بخمس صلوات كل يوم فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت بخمس صلوات كل يوم. قال: إن أمتك لا تستطيع خمس صلوات كل يوم، وإنى قد جربت الناس قبلك، وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك. قال: سألت ربى حتى استحييت، ولكن أرضى وأسلم قال: فلما جاوزت، نادى مناد: أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادى.

٥ - وفى رواية: «بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان - وذكر، يعنى رجلاً بين الرجلين - فأتيت بطست من ذهب ملآن حكمة وإيمانًا. فشق من النحر إلى مراق البطن ثم غسل البطن بماء زمزم، ثم ملىء حكمة وإيمانًا ...».

ثم ساق نحوه. وحين ذكر البيت المعمور قال: «فسألت جبريل فقال: يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم. ورفعت لى سدرة المنتهى، فإذا نبقها كأنه قلال هجر، وورقها كأنه آذان الفيول ...» وقال فى آخره: «فنودى: إنى قد أمضيت فريضتى، وخففت عن عبادى، وأجزى الحسنة عشرًا».

٦ - وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس** ﴾ . قال : هى رؤيا عين، أريها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به إلى بيت المقدس . قال : والشجرة الملعونة فى القرآن هى شجرة الزقوم .

٧ - وعن أنس بن مالك قال : كان أبو ذر يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال :

« فرج عن سقف بيتى وأنا بمكة، فنزل جبريل، ففرج صدرى، ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانًا، فأفرغه فى صدرى ثم أطبقه، ثم أخذ بيدى فعرج بى إلى السماء الدنيا . فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء : افتح . قال : من هذا ؟ قال : هذا جبريل . قال : هل معك أحد ؟ قال : نعم، معى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم . فقال : أرسل إليه ؟ قال : نعم . فلما فتح علونا السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة ؛ إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل يساره بكى . فقال : مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت لجبريل : من هذا ؟ قال : هذا آدم، وهذه الأسودة عن يمينه وشماله نسم بنيه، فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى .

حتى عرج بى إلى السماء الثانية، فقال لخازنها : افتح . فقال له خازنها مثل ما قال الأول . ففتح » .

قال أنس : فذكر أنه وجد فى السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم . ولم يثبت [- يعنى أبا ذر -] كيف منازلهم . غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا، وإبراهيم فى السادسة .

قال أنس : فلما مر جبريل بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح . فقلت : من هذا ؟ قال : هذا إدريس . ثم مررت بموسى فقال : مرحبًا بالنبى الصالح والأخ الصالح . قلت : من هذا ؟ قال : هذا موسى . ثم مررت بعيسى فقال : مرحبًا بالأخ الصالح والنبى الصالح قلت : من

هذا ؟ قال : هذا عيسى . ثم مررت بإبراهيم فقال : مرحبًا بالنبى الصالح والابن الصالح . قلت : من هذا ؟ : قال : هذا إبراهيم عليه السلام » .

قال ابن شهاب : فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصارى كانا يقولان : قال النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام » .

قال ابن حزم وأنس بن مالك : قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة . فرجعت بذلك حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت : فرض خمسين صلاة . قال : فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعنى ، فوضع شطرها . فرجعت إلى موسى . قلت : وضع شطرها . فقال : راجع ربك ، فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعت ، فوضع شطرها فرجعت إليه فقال : ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك . فراجعته فقال : هى خمس وهى خمسون ، لا يبدل القول لدى . فرجعت إلى موسى فقال : راجع ربك . فقلت : استحييت من ربى ، ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ما هى ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها حبايل اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك » .

٨ – وعن شريك بن عبد الله أنه قال : سمعت ابن مالك يقول : ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من مسجد الكعبة ، أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام . فقال أولهم : أيهم هو ؟ فقال أوسطهم هو خيرهم . فقال أحدهم : خذوا خيرهم ، فكانت تلك الليلة . فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى ، فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه ، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم . فلم يكلموه ، حتى احتملوه ، فوضعوه عند بئر زمزم ، فتولاه منهم جبريل ، فشق ما بين نحره إلى لبته ، حتى فرغ من صدره وجوفه ، فغسله من ماء زمزم بيده ، حتى أنقى جوفه ، ثم أتى بطست من ذهب ، فيه نور من ذهب ، محشواً إيمانًا وحكمة ، فحشا به صدره ولغاديده – يعنى عروق حلقه – ثم أطبقه ، ثم عرج به إلى السماء الدنيا .

فضرب بابًا من أبوابها ، فناداه أهل السماء : من هذا ؟ فقال : جبريل . قالوا :

ومن معك ؟ قال : معى محمد . قال : وقد بعث ؟ قال : نعم . قالوا : فمرحبًا به وأهلاً ، فيستبشر به أهل السماء ، لا يعلم أهل السماء بما يريد الله به فى الأرض حتى يعلمهم . فوجد فى السماء الدنيا آدم ، فقال له جبريل : هذا أبوك ، فسلم عليه ، فسلم عليه ، ورد عليه آدم وقال : مرحبًا وأهلاً بابنى ، نعم الابن أنت . فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان . فقال : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال : هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به فى السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب يده ، فإذا هو مسك أذفر . قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك ثم عرج إلى السماء الثانية ، فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى . من هذا ؟ قال : جبريل . قالوا : ومن معك ؟ قال : محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم قالوا : وقد بعث إليه ؟ قال : نعم . قالوا مرحبًا به وأهلاً .

ثم عرج به إلى السماء الثالثة ، وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ، ثم عرج به إلى الرابعة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السماء الخامسة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السماء السادسة ، فقالوا له مثل ذلك . ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك . كل سماء فيها أنبياء قد سماهم ، فوعيت منهم : إدريس فى الثانية وهارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة لم أحفظ اسمه ، وإبراهيم فى السادسة ، وموسى فى السابعة بفضل كلامه لله . فقال موسى : رب لم أظن أن ترفع علىّ أحدًا .

ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله ، حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا الجبار رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله فيما أوحى : خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة . ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى ، فقال : يا محمد ، ماذا عهد إليك ربك ؟ قال : عهد إلىّ خمسين صلاة كل يوم وليلة . قال : إن أمتك لا تستطيع ذلك ، فارجع ، فليخفف عنك ربك وعنهم فالتفت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جبريل ، وكأنه يستشيره فى ذلك ، فأشار إليه جبريل : أن نعم إن شئت فعلاً به إلى الجبار ، فقال وهو مكانه : يارب ، خفف عنا ، فإن أمتى لا تستطيع هذا ، فوضع عنه عشر صلوات ، ثم رجع إلى موسى ، فاحتبسه ، فلم يزل يردده موسى إلى ربه ، حتى صارت إلى خمس صلوات .

ثم احتبسه موسى عند الخمس، فقال: يا محمد، والله لقد راودت بنى إسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا، فتركوه، فأمتك أضعف أجسادًا وقلوبًا وأبدانًا وأبصارًا وأسماعًا، فارجع فليخفف عنك ربك. كل ذلك يلتفت النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى جبريل ليشير عليه، ولا يكره ذلك جبريل. فرفعه عند الخامسة، فقال: يا رب إن أمتى، ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم، فخفف عنا. فقال الجبار: يا محمد. قال: لبيك وسعديك. قال: إنه لا يبدل القول لدى. كما فرضت عليك فى أم الكتاب. قال: فكل حسنة بعشر أمثالها، فهى خمسون فى أم الكتاب، وهى خمس عليك. فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال: خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها. قال موسى: قد والله راودت بنى إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضًا. قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: يا موسى، قد والله استحييت من ربى مما اختلفتُ إليه. قال: فاهبط باسم الله. قال: واستيقظ وهو فى المسجد الحرام.

*** زيادات ليست عند البخارى:**

قال الحافظ رحمه الله:

(وقع من الزيادات فى قصة المعراج) عند مسلم من طريق همام عن قتادة عن أنس رفعه: «بينا أنا أسير فى الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، وإذا طينه مسك أذفر. فقال جبريل: هذا الكوثر» وله من طريق شيبان عن قتادة عن أنس: لما عرج بالنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم.. فذكر نحوه.

وعند أبى حاتم وابن عائذ من طريق يزيد بن أبى مالك عن أنس: «ثم انطلق حتى انتهى بى إلى الشجرة، فغشينى من كل سحابة فيها من كل لون، فتأخر جبريل، وخررت ساجدًا» وفى حديث ابن مسعود عند مسلم: (وأعطى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته المقحمات)، يعنى الكبائر. وفى هذه الرواية من الزيادة: «ثم انجلت عنى السحابة وأخذ بيدى جبريل، فانصرفت سريعًا، فأتيت على إبراهيم، فلم يقل شيئًا ثم أتيت على موسى فقال: ما صنعت؟ . . .» الحديث.

وفيه أيضًا: «فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مالى لم آت

أهل سماء إلا رحبوا وضحكوا إلىّ، غير رجل واحد، فسلمت عليه، فرد علىّ السلام، ورحب بى، ولم يضحك إلىّ ؟ قال : يا محمد، ذاك مالك خازن جهنم، لم يضحك منذ خلق، ولو ضحك إلى أحد لضحك إليك » .

وفى حديث حذيفة عند أحمد والترمذى، (حتى فتحت لهما أبواب السماء، فرأيا الجنة والنار، ووعد الآخرة أجمع) وفى حديث أبى سعيد : أنه عرض عليه الجنة، وأن رمانها، كأنه الدلاء، وإذا طيرها، كأنه البخت، وأنه عرضت عليه النار، فإذا هى لو طرح فيها الحجارة والحديد لأكلتها . وفى حديث شداد بن أوس : « فإذا جهنم تكشف عن مثل الزرابى، ووجدتها مثل الحمة السخنة » . وزاد فيه : أنه رآها فى وادى بيت المقدس . وفى رواية يزيد بن أبى مالك عن أنس عند ابن أبى حاتم، أن جبريل قال : يا محمد هل سألت ربك أن يريك الحور العين ؟ قال : نعم . قال : فانطلق إلى أولئك النسوة فسلم عليهن . قال : فأتيت إليهن، فسلمت، فرددن، فقلت : من أنتن ؟ فقلن : خيرات حسان . . » الحديث .

وفى رواية أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : (أن إبراهيم الخليل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم : يابنى إنك لاق ربك الليلة، وإن أمتك آخر الأمم وأضعفها، فإن استطعت أن تكون حاجتك أوجلها فى أمتك فافعل) .

وفى رواية الواقدى بأسانيده فى أول حديث الإسراء : (كان النبى صلى الله عليه على آله وسلم يسأل ربه أن يريه الجنة والنار، فلمَا كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً، وهو نائم فى بيته ظهراً، أتاه جبريل وميكائيل فقالا : انطلق إلى ما سألت : فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم، فأتى بالمعراج، فإذا هو أحسن شىء منظراً، فعرجا به إلى السماوات، فلقى الأنبياء، وانتهى إلى سدرة المنتهى، ورأى الجنة والنار، وفرض عليه الخمس) . فلو ثبت هذا لكان ظاهراً فى أنه معراج آخر، لقوله : إنه كان ظهراً وأن المعراج كان من مكة، هو مخالف لما فى الروايات الصحيحة فى الأمرين معًا . ويعكر على التعدد قوله : إن الصلوات فرضت حينئذ، إلا إن حمل على أنه أعيد ذكره تأكيداً، أو فرع على أن الأول كان منامًا، وهذا يقظة أو بالعكس، والله أعلم .

*** لماذا بيت المقدس ؟**

قال الحافظ– رحمه الله –: روى كعب الأحبار أن باب السماء الذى يقال له :

« مصعد الملائكة » يقابل بيت المقدس فأخذ منه العلماء أن الحكمة من الإسراء إلى بيت المقدس قبل العروج ، ليحصل العروج مستويًا من غير تعويج . وفيه نَظَر لورود أن فى كل سماء بيتًا معموراً ، وأن الذى فى السماء الدنيا خيال الكعبة وكان المناسب أن يصعد من مكة ليصل إلى البيت المعمور بغير تعويج ، لأنه صعد من سماء إلى سماء إلى البيت المعمور .

وقد ذكر غيره مناسبات أخرى ضعيفة . فقيل : الحكمة فى ذلك أن يجمع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى تلك الليلة بين رؤية القبلتين . أو لأن بيت المقدس كان هجرة غالب الأنبياء قبله ، فحصل له الرحيل إليه فى الجملة ، ليجمع بين أشتات الفضائل . أو لأنه محشر وغالب ما اتفق له فى تلك الليلة يناسب الأحوال الأخروية ، فكان المعراج منه أليق بذلك . أو للتفاؤل بحصول أنواع التقديس له حسًا ومعنى . أو ليجتمع بالأنبياء جملة ، والعلم عند الله .

*** هل كان الإسراء والمعراج منامًا أو يقظة :**

قد اختلف السلف بحسب اختلاف الأخبار الواردة : فمنهم من ذهب إلى أن الإسراء والمعراج وقعا فى ليلة واحدة فى اليقظة ، بجسد النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وروحه بعد المبعث . وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين ، وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة . ولا ينبغى العدول عن ذلك : إذ ليس فى العقل ما يحيله ، حتى يحتاج إلى تأويل .

نعم ، جاء فى بعض الأخبار ما يخالف بعض ذلك ، فجنح لأجل ذلك بعض أهل العلم منهم إلى أن ذلك كله وقع مرتين ، مرة فى المنام توطئة وتمهيداً ومرة ثانية فى اليقظة ، كما وقع نظير ذلك فى ابتداء مجىء الملك بالوحى .

فقد [ذكر] ابن ميسرة التابعى الكبير وغيره ، أن ذلك وقع فى المنام وأنهم جمعوا بينه وبين حديث عائشة بأن ذلك وقع مرتين . وإلى هذا ذهب المهلب شارح البخارى ، وحكاه عن طائفة ، وأبو نصر بن القشيرى ، ومن قبلهم أبو سعيد فى

« شرف المصطفى » قال : كان للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم معارج ، منها ما كان فى اليقظة ومنها ما كان فى المنام . وحكاه السهيلى عن ابن العربى واختاره .

وجوز بعض قائلى ذلك أن تكون قصة المنام وقعت قبل المبعث لأجل قول شريك فى روايته عن أنس : (وذلك قبل أن يوحى إليه . . . .) . وقوله : « قبل أن يوحى إليه » . أنكرها الخطابى وابن حزم وعبد الحق والقاضى عياض والنووى وعبارة النووى : وقع فى رواية شريك - يعنى هذه - أوهام أنكرها العلماء أحدها : قوله : « قبل أن يوحى إليه » وهو غلط لم يوافق عليه . وأجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء ، فكيف يكون قبل الوحى . انتهى . وصرح المذكورون بأن شريكا تفرد بذلك ، وفى دعوى التفرد نظر ، فقد وافقه كثير بن خنيس - بمعجمة ونون مصغر - عن أنس ، كما أخرجه سعيد بن يحيى بن سعيد الأموى فى كتاب « المغازى » من طريقه .

وقال بعض المتأخرين : كانت قصة الإسراء فى ليلة والمعراج فى ليلة ، متمسكًا بما ورد فى حديث أنس من رواية شريك ، من ترك ذكر الإسراء . وكذا فى ظاهر . حديث مالك بن صعصعة . ولكن ذلك لا يستلزم التعدد . بل هو محمول على أن بعض الرواة ، ذكر ما لم يذكره الآخر كما سنبينه . وذهب بعضهم إلى أن الإسراء كان فى اليقظة ، والمعراج كان فى المنام . أو أن الاختلاف فى كونه يقظة أو منامًا خاص بالمعراج لا بالإسراء . ولذلك لما أخبر به قريشًا كذبوه فى الإسراء واستبعدوا وقوعه ، ولم يتعرضوا للمعراج . وأيضًا فإن الله سبحانه وتعالى قال :

﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾ .

فلو وقع المعراج فى اليقظة لكان ذلك أبلغ فى الذكر ، فلما لم يقع ذكره فى هذا الموضع ، مع كون شأنه أعجب من الإسراء وأمره أغرب من الإسراء بكثير ، دل على أنه كان منامًا ، وأما الإسراء فلو كان منامًا لما كذبوه ولا استنكروه ، لجواز وقوع مثل ذلك وأبعد منه لآحاد الناس .

* هل كان الإسراء والمعراج معًا فى ليلة واحدة ؟

وقيل : كان الإسراء مرتين فى اليقظة : فالأولى : رجع من بيت المقدس وفى صبيحته أخبر قريشًا بما وقع . والثانية : أسرى به إلى بيت المقدس ، ثم عرج به من

ليلته إلى السماء : إلى آخر ما وقع ، ولم يقع لقريش فى ذلك اعتراض ، لأن ذلك عندهم من جنس قوله : إن الملك يأتيه من السماء فى أسرع من طرفة عين ، وكانوا يعتقدون استحالة ذلك ، مع قيام الحجة على صدقه بالمعجزات الباهرة ، لكنهم عاندوا فى ذلك واستمروا على تكذيبه فيه . بخلاف إخباره أنه جاء بيت المقدس فى ليلة واحدة ورجع فإنهم صرحوا بتكذيبه فيه ، فطلبوا منه نعت بيت المقدس لمعرفتهم به ، وعلمهم بأنه ما كان رآه قبل ذلك ، فأمكنهم استعلام صدقة فى ذلك بخلاف المعراج .

ويؤيد وقوع المعراج عقب الإسراء فى ليلة واحدة ، رواية ثابت عن أنس عند مسلم ، ففى أوله : « أتيت بالبراقَ ، فركبت حتى أتيت بيت المقدس » فذكر القصة إلى أن قال : « ثم عرج بنا إلى السماء الدنيا » . وفى حديث أبى سعيد الخدرى عند ابن إسحاق : « فلما فرغت مما كان فى بيت المقدس ، أتى بالمعراج فذكر الحديث » . ووقع فى أول حديث مالك بن صعصعة : أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به . فذكر الحديث ، فهو وإن لم يذكر فيه الإسراء إلى بيت المقدس ، فقد أشار إليه ، وصرح به فى روايته ، فهو المعتمد .

واحتج من زعم أن الإسراء وقع مفرداً ، بما أخرجه البزار والطبرانى ، وصححه البيهقى فى « الدلائل » من حديث شداد بن أوس قال : قلنا : يا رسول الله كيف أسرى بك ؟ قال : « صليت صلاة العتمة بمكة ، فأتانى جبريل بدابة . . . » فذكر الحديث فى مجيئه بيت المقدس وما وقع له فيه ، قال « ثم انصرف بى ، فمررنا بعير لقريش بمكان كذا . . . » فذكره قال : « ثم أتيت أصحابى قبل الصبح بمكة » .

وفى حديث أم هانىء عند ابن إسحاق وأبى يعلى نحو ما فى حديث أبى سعيد هذا : فإن ثبت أن المعراج كان مناماً ، على ظاهر رواية شريك عند أنس ، فينتظم من ذلك أن الإسراء وقع مرتين : مرة فى المنام على انفراده توطئة وتمهيداً ، ومرة فى اليقظة مضموماً إلى الإسراء . وأما كونه قبل البعث فلا يثبت .

وجنح الإمام أبو شامة إلى وقوع المعراج مراراً ، واستند إلى ما أخرجه البزار وسعيد بن منصور من طريق أبى عمران الجونى عن أنس رفعه قال : « بينا أنا جالس ، إذ جاء جبريل ، فوكز بين كتفى ، فقمنا إلى شجرة فيها مثل وكرى الطائر ،

فقعدت فى أحدهما، وقعد جبريل فى الآخر، فارتفعت حتى سدت الخافقين . . . » الحديث، وفيه : « ففتح لى باب من السماء، ورأيت النور الأعظم، وإذا دونه حجاب رفرف الدر والياقوت . . ورجاله لا بأس بهم، إلا أن الدارقطنى ذكر له علة تقتضى إرساله . وعلى كل حال، فهى قصة أخرى، الظاهر أنها وقعت بالمدينة، ولا بعد فى وقوع أمثالها، وإنما المستبعد وقوع التعدد فى قصة المعراج، التى وقع فيها سؤاله عن كل نبى، وسؤال أهل كل باب : هل بعث إليه، وفرض الصلوات الخمس . . . وغير ذلك فإن تعدد ذلك فى اليقظة لا يتجه، فيتعين رد بعض الروايات المختلفة إلى بعض، أو الترجيح، إلا أنه لا بعد فى جميع وقوع ذلك فى المنام توطئة، ثم وقوعه فى اليقظة على وفقه كما قدمته .

ومن المستغرب قول ابن عبد السلام فى « تفسيره » كان الإسراء فى النوم واليقظة ووقع بمكة والمدينة . فإن كان يريد تخصيص المدينة بالنوم، ويكون كلامه على طريق اللف والنشر غير المرتب فيحتمل، ويكون الإسراء الذى اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلوات فى اليقظة بمكة، والآخر فى المَنام بالمدينة . وينبغى أن يزاد فيه : أن الإسراء فى المنام تكرر بالمدينة النبوية، وفى « الصحيح » حديث سمرة الطويل فى الجَنائز، وفى غيره حديث عبد الرحمن بن سمرة الطويل، وفى « الصحيح » حديث ابن عباس فى رؤيا الأنبياء، وحديث ابن عمر فى ذلك والله أعلم .

[وأسرى] : مأخوذ من السرى، وهو سير الليل . تقول : أسرى وسرى إذا سار ليلاً بمعنى . هذا قول الأكثر، وقال الحوفى : أسرى : سار ليلاً، وسرى سار نهاراً . وقيل أسرى : سار من أول الليل، وسرى : سار من آخره، وهذا أقرب .

والمراد بقوله : ﴿ **أسرى بعبده** ﴾ : أى جعل البراق يسرى به، كما يقال : أمضيت كذا : أى جعلته يمضى، وحذف المفعول لدلالة السياق عليه، ولأن المراد ذكر المسرى به ذكر الدابة . والمراد بقوله : ﴿ **بعبده** ﴾ محمد عليه الصلاة والسلام اتفاقًا . والضمير لله تعالى، والإضافة للتشريف . وقوله : ﴿ **ليلاً** ﴾ ظرف للإسراء وهو للتأكيد، وفائدته رفع توهَم المجاز، لأنه قد يطلق على سير النهار أيضًا . ويقال : بل هو إشارة إلى أن ذلك وقع فى بعض الليل لا فى جميعه، والعرب تقول : سرى فلان ليلاً : إذا سار بعضه وسرى ليلة : إذا سار جميعها، ولا يقال :

أسرى ليلاً إذا وقع سيره فى أثناء الليل، وإذا وقع فى أوله، يقال: أدلج. ومن هذا قوله تعالى فى قصة موسى وبنى إسرائيل: ﴿ **فأسرى بعبادى ليلاً** ... ﴾: أى من وسط الليل.

* هل تعدد الإسراء ؟

قال الحافظ :

وأنكر صاحب « الهدى » أيضًا على من زعم أن الإسراء تعدد، واستند إلى استبعاد أن يتكرر، قوله : (ففرض عليه خمسين صلاة وطلب التخفيف . . .) إلى آخر القصة، فإن دعوى التعدد تستلزم أن قوله تعالى : « أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى » أن فريضة الخمسين وقعت بعد أن وقع التخفيف، ثم وقع التخفيف والإجابة إليه وأعيد : « أمضيت فريضتى . . . » إلى آخره. انتهى وما أظن أحدًا ممن قالَ بالتعدد يلتزم إعادة مثل ذلك يقظة، بل يجوز وقوع مثل ذلك منامًا ثم وجوده يقظة، كما فى قصة المبعث ويجوز تكرير إنشاء الرؤية، ولا تبعد العادة تكرير وقوعه، كاستفتاح السماء، وقول كل نبى ما نسب إليه بل الذى يظن أنه تكرر مثل حديث أنس رفعه : « بينا أنا قاعد، إذ جاء جبريل فوكز بين كتفى فقمت إلى شجرة فيها مثل وكرى الطائر، فقعدت فى أحدهما، وقعد جبريل فى الأخرى، فسمت وارتفعت، حتى سدت الخافقين، وأنا أقلب طرفى، ولو شئت أن أمس السماء لمسست فالتفت إلى جبريل، كأنه جلس لأجلى وفتح بابًا من أبواب السماء، فرأيت النور الأعظم، وإذا دونه الحجاب، وفوقه الدر والياقوت، فأوحى إلى عبده ما أوحى ». أخرجه البزار وقال : تفرد به الحارث بن عمير وكان بصريًا مشهورًا قلت : وهو من رجال البخارى .

* * *

المعراج وأحداثه

* متى تَمَّ المعراج؟
* شق صدر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.
* البراق وأوصافه.
* السماء الدنيا.

* متى تم المعراج :

وقد اختلف فى وقت المعراج، فقيل: كان قبل المبعث، وهو شاذ، إلا إن حمل على أنه وقع حينئذ فى المنام، كما تقدم. وذهب الأكثر إلى أنه كان بعد المبعث، ثم اختلفوا: فقيل: قبل الهجرة بسنة. قاله ابن سعد وغيره، وبه جزم النووى. وبالغ ابن حزم فنقل الإجماع فيه. وهو مردود، فإن فى ذلك اختلافًا كثيرًا، يزيد على عشرة أقوال :

منها ما حكاه ابن الجوزى أنه كان قبلها بثمانية أشهر وقيل : بستة أشهر، وحكى هذا الثانى أبو الربيع بن سالم، وحكى اثنتى عشرة من النبوة. وقيل: بأحد عشر شهرًا. جزم به إبراهيم الحربى حيث قال: كان فى ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة، ورجحه ابن المنير فى « شرح السيرة » لابن عبد البر وقيل: قبل الهجرة بسنة وشهرين، حكاه ابن عبد البر. وقيل: قبلها بسنة وثلاثه أشهر، حكاه ابن فارس. وقيل: بسنة وخمسة أشهر، قاله السدى وأخرجه من طريقه الطبرى والبيهقى .

فعلى هذا، كان فى شوال أو فى رمضان، على إلغاء الكسرين منه ومن ربيع الأول، وبه جزم الواقدى، وعلى ظاهره ينطبق ما ذكره ابن قتيبة وحكاه ابن عبد البر، أنه كان قبلها بثمانية عشر شهرًا، وعند ابن سعد: عن ابن أبى سبرة: أنه كان فى رمضان، قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا .

وقيل : كان فى رجب، حكاه ابن عبد البر، وجزم به النووى فى « الروضة » وقيل: قبل الهجرة بثلاث سنين، حكاه ابن الأثير وحكى عياض وتبعه القرطبى والنووى عن الزهرى: أنه كان قبل الهجرة بخمس سنين، ورجحه عياض ومن تبعه، واحتج بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة، ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة، إما بثلاث أو نحوها وإما بخمس، ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء. قلت: فى جميع ما نفاه من الخلاف نظر :

أما أولاً : فإن العسكرى حكى أنها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين، وقيل: بأربع. وعن ابن الأعرابى أنها ماتت عام الهجرة .

وأما ثانيًا : فإن فرض الصلاة اختلف فيه، فقيل: أول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشى وإنما الذى فرض ليلة الإسراء الصلوات الخمس .

وأما ثالثًا : ففى حديث عائشة عند البخارى فى بدء الخلق : أن عائشة جزمت بأن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلاة فالمعتمد أن مراد من قال : بعد أن فرضت الصلاة، ما فرض قبل الصلوات الخمس، إن ثبت ذلك . ومراد عائشة بقولها : (ماتت قبل أن تفرض الصلاة) : أى الخمس فيجمع بين القولين بذلك، ويلزم منه أنها ماتت قبل الإسراء .

وأما رابعًا : ففى سنة موت خديجة اختلاف آخر فحكى العسكرى عن الزهرى : أنها ماتت لسبع مضين من البعثة، وظاهره أن ذلك قبل الهجرة بست سنين، فرعه العسكرى على قول من قال : إن المدة بين البعثة والهجرة كانت عشراً .

وأما قوله فى رواية شريك عن أنس : (حتى أتوه ليلة أخرى)، ولم يعين المدة التى بين المجيئين، فيحمل على أن المجىء الثانى كان بعد أن أوحى إليه وحينئذ وقع الإسراء والمعراج . وإذا كان بين المجيئين مدة، فلا فرق فى ذلك بين أن تكون تلك المدَة ليلة واحدة أو ليالى كثيرة أو عدة سنين وبهذا يرتفع الإشكال عن رواية شريك، ويحصل به الوفاق أن الإسراء كان فى اليقظة بعد البعثة وقَبل الهجرة ويسقط تشنيع الخطابى وابن حزم وغيرَهما، بأن شريكا خالف الإجماع فى دعواه أن المعراج كان قبل البعثة وبالله التوفيق .

وأما ما ذكره بعض الشراح أنه كان بين الليلتين اللتين أتاه فيهما الملائكة سبع، وقيل : ثمان، وقيل : تسع، وقيل : عشر، وقيل : ثلاث عشر، فيحمل على إرادة السنين، لا كما فهمه الشارح المذكور أنها ليال . وبذلك جزم ابن القيم فى هذا الحديث نفسه .

وأقوى ما يستدل به أن المعراج بعد البعثة، قوله فى هذا الحديث نفسه أن جبريل قال لبواب السماء إذ قال له : أبعث ؟ قال : نعم فإنه ظاهر فى أن المعراج كان بعد البعثة، فيتعين ما ذكرته من التأويل وأقله قوله : (فاستيقظ وهو عند المسجد الحرام) فإن حمل على ظاهره، جاز أن يكون نام بعد أن هبط من السماء، فاستيقظ وهو عند المسجد الحرام . وجاز أن يؤول قوله : (استيقظ) : أى أفاق مما كان فيه، فإنه كان إذا أوحى إليه يستغرق فيه، فإذا انتهى رجع إلى حالته الأولى فكنى عنه بالاستيقاظ .

أى أنه أفاق مما كان فيه من شغل البال، بمشاهدة الملكوت، ورجع إلى العالم الدنيوى. وقال الشيخ أبو محمد بن أبى حمزة : لو قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : إنه كان يقظان، لأخبر بالحق، لأن قلبه فى النوم واليقظة سواء، وعينه أيضًا، لم يكن النوم تمكن منها، لكنه تحرى صلى الله عليه وعلى آله وسلم الصدق فى الإخبار بالواقع فيؤخذ منه أنه لا يعدل عن حقيقة اللفظ للمجاز إلا لضرورة .

أما الشك فى رواية مالك بن صعصعة فى قوله : « فى الحطيم وربما فى الحجر »، فهو شك من قتادة - الراوى عن أنس عن مالك بن صعصعة . كما بينه أحمد عن عفان عن همام، ولفظه : « بينا أنا نائم فى الحطيم - وربما قال قتادة : فى الحجر - » .

والمراد بالحطيم هنا : الحجر . وأبعد من قال : المراد به : ما بين الركن والمقام، أو بين زمزم والحجر وهو إن كان مختلفًا فى الحطيم : هل هو الحجر أم لا ؟ لكن المراد هنا بيان البقعة التى وقع ذلك فيها . ومعلوم أنها لم تتعدد، لأن القصة متحدة لاتحاد مخرجها .

وفى سياق آخر فى رواية مالك هذه : « بينا أنا عند البيت » وهو أعم ووقع فى رواية الزهرى عن أنس عن أبى ذر : « فرج سقف بيتى وأنا بمكة » وفى رواية الواقدى بأسانيده : أنه أسرى به من شعب أبى طالب وفى حديث أم هانىء عند الطبرانى : أنه بات فى بيتها، قالت : ففقدته من الليل فقال : « إن جبريل أتانى » .

والجمع بين هذه الأقوال، أنه نام فى بيت أم هانىء، وبيتها عند شعب أبى طالب، ففرج سقف بيته، وأضاف البيت إليه لكونه كان يسكنه، فنزل منه الملك، فأخرجه من البيت إلى المسجد، فكان به مضطجعًا وبه أثر النعاس . ثم أخرجه الملك إلى باب المسجد، فأركبه البراق .

وقد وقع فى مرسل الحسن عند ابن إسحاق : أن جبريل أتاه، فأخرجه إلى المسجد، فأركبه البراق، وهو يؤيد هذا الجمع . وقيل : الحكمة من نزوله عليه من السقف، الإشارة إلى المبالغة فى مفاجأته بذلك، والتنبيه على أن المراد منه أن يعرج به إلى جهة العَلو .

*** كم مرة شق صدر الرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم :**

وثبت شق الصدر أيضًا عند البعثة، كما أخرجه أبو نعيم فى (الدلائل) ولكل منهما حكمة. فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس: « فأخرج علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك » وكان هذا فى زمن الطفولية فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ثم وقع شق الصدر عند البعث، زيادة فى إكرامه، ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوى، فى أكمل الأحوال من التطهير ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى السماء، ليتأهب للمناجاة. ويحتمل أن تكون الحكمة فى هذا الغسل، لتقطع المبالغة فى الإسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر فى شرعه صلى الله عليه وعلى آله وسلم. ويحتمل أن تكون الحكمة من انفراج سقف بيته، الإشارة إلى ما سيقع من شق صدره. وأنه سيلتئم بغير معالجة يتضرر بها .

وجميع ما ورد فى شق الصدر، واستخراج القلب، وغير ذلك من الأمور الخارقة للعادة، مما يجب التسليم له دون التعرض لتصرفه عن حقيقته، لصلاحية القدرة، فلا يستحيل شيء من ذلك. قال القرطبى فى « المفهم » لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء، لأن رواته ثقات مشاهير . . . ثم ذكر نحو ما تقدم .

وقال الحافظ فى موضع آخر : ثبت شق الصدر ليلة الإسراء كذلك، فى غير رواية شريك فى « الصحيحين » من حديث أبى ذر. ووقع أيضًا عند البعثة، كما أخرجه أبو داود الطيالسى فى « مسنده » وأبو نعيم والبيهقى فى « دلائل النبوة. وذكر أبو بشر الدولابى بسنده: أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى فى المنام أن بطنه أخرج. ثم أعيد، فذكر ذلك لخديجة . . . الحديث. ووقع شق الصدر الكريم أيضًا فى حديث أبى هريرة حين كان ابن عشر سنين، وهو عند عبد الله بن أحمد فى « زيادات المسند » ووقع فى « الشفاء » أن جبريل قال لما غسل قلبه: قلب سديد فيه عينان تبصران وأذنان تسمعان » .

*** البراق وأوصافه :**

وقوله فى الحديث فى صفة البراق : « يضع خطوه عند أقصى طرفه » بسكون الراء وبالفاء : أى نظره أى يضع رجله عند منتهى ما يرى بصره : وفى حديث ابن مسعود عند أبى يعلى والبزار : « إذا أتى على جبل ارتفعت رجلاه ، وإذا هبط ارتفعت يداه » وفى رواية لابن سعد عن الواقدى بأسانيده : « له جناحان » ولم أرها لغيره . وعند الثعلبى بسند ضعيف عن ابن عباس فى صفة البراق : « لها خد كخد الإنسان ، وعرف كالفرس ، وقوائم كالإبل ، وأظلاف وذنب كالبقرة وكأن صدره ياقَوتة حمراء » .

قيل : ويؤخذ من ترك تسمية سير البراق طيرانًا ، أن الله إذا أكرم عبدًا سهل الطريق له ، حتى قيطع المسافة الطويلة فى الزمن اليسير ، أن لا يخرج ذلك عن اسم « السفر » وتجرى عليه أحكامه . والبراق - بضم الموحدة وتخفيف الراء - مشتق من البريق . فقد جاء فى لونه أنه أبيض ، أو من البرق ، لأنه وصفه بسرعة السير ، أو من قولهم شاة برقاء ، إذا كان خلال صوفها الأبيض طاقات سود . ولا ينافيه وصفه فى الحديث ، بأن البراق أبيض ، لأن البرقاء من الغنم معدودة فى البياض .

ويحتمل أن لا يكون مشتقًا . قال ابن أبى جمرة : خص البراق بذلك ، إشارة إلى الاختصاص به ، لأنه لم ينقل أن أحدًا ملكه ، بخلاف جنسه من الدواب . قال : والقدرة كانت صالحة لأن يصعد بنفسه من غير براق ، ولكن ركوب البراق كان زيادة له فى تشريفه ، لأنه لو صعد بنفسه لكان فى صورة ماش ، والراكب أعز من الماشى .

قوله : « فحملت عليه » (يعنى فى رواية ابن صعصعة) : فى رواية لأبى سعيد فى « شرف المصطفى » : « فكان الذى أمسك بركابه جبريل ، وبزمام البراق ميكائيل » وفى رواية معمر عن قتادة عن أنس : (أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به ، أتى بالبراق مسرجًا ملجمًا ، فاستصعب عليه ، فقال له جبريل : ما حملك على هذا ؟ فوالله ما ركبك خلق قط أكرم على الله منه . قال : فارفض عرقًا) أخرجه الترمذى وقال : حسن غريب صححه ابن حبان .

وذكر ابن إسحاق عن قتادة : « أنه لما شمس ، وضع جبريل يده على معرفته

فقال : أما تستحى ؟ . . » فذكر نحوه مرسلاً ، لم يذكر أنسًا . وفى رواية وثيمة عن ابن إسحاق . . » فارتعشت حتى لصقت بالأرض ، فاستويت عليها » وللنسائى وابن مردويه من طريق يزيد بن مالك : عن أنس نحوه موصلاً وزاد : « وكانت تسخر للأنبياء قبله » ونحوه فى حديث أبى سعيد عند ابن إسحاق .

وفيه دلالة على أن البراق كان معداً لركوب الأنبياء ، خلافًا لمن نفى ذلك ، كابن دحية ، وأول قول جبريل : « فما ركبك أكرم على الله منه » ؛ أى ما ركبك أحد قط ، فكيف يركبك أكرم منه . وقد جزم السهيلى أن البراق ، إنما استصعب عليه لبعد عهده بركوب الأنبياء قبله . قال النووى : قال الزبيدى فى « مختصر العينى » وتبعه صاحب « التحرير » : كان الأنبياء يركبون البراق قال : وهذا يحتاج إلى نقل صحيح .

قلت : قد ذكرت النقل بذلك ، ويؤيده ظاهر قوله : « فربطته بالحلقة التى تربط بها الأنبياء » ووقع فى « المبتدأ » لابن إسحاق ، ومن رواية وثيمة فى ذكر الإسراء : « فاستصعب البراق ، وكانت الأنبياء تركبها قبلى ، وكانت بعيدة العهد بركوبهم ، لم تكن ركبت فى الفترة » . وفى « مغازى ابن عائذ » من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال : « البراق : هى الدابة التى كان يزور إبراهيم عليها إسماعيل » .

وفى الطبرى من حديث عبد الرحمن بن أبى ليلى عن أبيه : « إن جبريل أتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالبراق ، فحمله بين يديه » . وعند أبى يعلى والحاكم من حديث ابن مسعود رفعه : « أتيت بالبراق ، فركبت خلف جبريل » . وفى حديث حذيفة عند الترمذى والنسائى : (فما زايلاً ظهر البراق) . وفى « كتاب مكة » للفاكهى والأزرقى : (أن إبراهيم كان يحج بها وبولدها) . فهذه آثار يشد بعضها بعضًا . وجاءت آثار أخرى تشهد لذلك لم أر الإطالة بإيرادها .

ومن الأخبار الواهية فى صفة البراق . ما ذكره الماوردى عن مقاتل ، وأورده القرطبى فى « التذكرة » ، ومن قبله الثعلبى من طريق ابن الكلبى : عن أبى صالح عن ابن عباس قال : (الموت والحياة جسمان ، فالموت كبش لا يجد ريحه شىء إلا مات والحياة فرس بلقاء أنثى ، وهى التى كان جبريل والأنبياء يركبونها ، لا تمر بشىء ولا يجد ريحها شىء إلا حيى) .

ومنها : أن البراق لما عاتبه جبريل قال له معتذراً : أنه مس الصفراء اليوم، وأن الصفراء صنم من ذهب كان عند الكعبة، وأن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم مر به فقال: « تبًا لمن يعبدك من دون الله » وأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم نهى زيد بن حارثة أن يمسه بعد ذلك، وكسره يوم فتح مكة .

قال ابن المنير : إنما استصعب البراق تيهًا وزهواً بركوب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأراد جبريل استنطاقه، فلذلك خجل وأرفض عرقًا من ذلك. وقريب من ذلك رجفة الجبل به، حتى قال له: « اثبت، فإنما عليك نبى وصديق وشهدين »، فإنها هزة الطرب لا هزة الغضب .

ووقع فى حديث حذيفة عند أحمد قال : (أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالبراق، فلزم يزايل ظهره هو وجبريل، حتى انتهيا إلى بيت المقدس) . فهذا لم يسنده حذيفة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيحتمل أنه قاله عن اجتهاد، ويحتمل أن يكون قوله : (هو وجبريل) يتعلق بمرافقته فى السير، لا فى الركوب للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم. فلا مدخل لغيره فيها .

قلت : ويرد التأويل المذكور: أن فى « صحيح » ابن حبان من حديث ابن مسعود: (أن جبريل حمله على البراق رديفًا له). وفى رواية الحارث فى (مسنده) (أتى بالبراق فركب خلف جبريل، فسار بهما). فهذا صريح فى ركوبه معه، فالله أعلم .

وأيضًا فإن ظاهره أن المعراج وقع للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى أن صعد السماوات كلها، ووصل إلى ما وصل، ورجع وهو على حاله. وفيه نظر لما سأذكره. ولعل حذيفة إنما أشار إلى ما وقع فى ليلة الإسراء المجردة التى لم يقع فيها معراج على ما تقدم من تقرير وقوع الإسراء مرتين .

* وصول الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى السماء الدنيا :

[و] قوله : « فانطلق بي جبريل » : وفي رواية : « فانطلقت مع جبريل » ولا مغايرة بينهما بخلاف مانحا إليه بعضهم من أن [الرواية الثانية] تشعر بأنه ما احتاج إلى جبريل في العروج ، بل كانا معًا بمنزلة واحدة . لكن معظم الروايات جاء باللفظ الأول . وفي حديث أبي ذر « عند البخاري » في أول الصلاة : « ثم أخذ بيدي فعرج بي » والذي يظهر أن جبريل في تلك الحالة ، كان دليلاً له ، فلذلك جاء سياق الكلام يشعر بذلك .

[و] قوله : « حتى أتى السماء الدنيا » ، ظاهره أنه استمر على البراق حتى عرج إلى السماء ، وهو مقتضى كلام ابن أبي جمرة المذكور قريبًا ، وتمسك به أيضًا من زعم أن المعراج كان في ليلة غير ليلة الإسراء إلى بيت المقدس . فأما العروج ففي غير هذه الرواية – يعني غير رواية مالك بنَ صعصعة – من الأخبار ، أنه لم يكن على البراق ، بل رقى المعراج : وهو السلم ، كما وقع مصرحًا به في حديث أبي سعيد عن ابن إسحاق والبيهقي في « الدلائل » ولفظه : « فإذا أنا بدابة كالبغل مضطرب الأذنين ، يقال له : البراق ، وكانت الأنبياء تركبه قبلي فركبته . . » فذكر الحديث . قال : « ثم دخلت أنا وجبريل بيت المقدس ، فصليت ثم أتيت بالمعراج » .

وفي رواية ابن إسحاق : سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول : « لما فرغت مما كان في بيت المقدس ، أتي بالمعراج ، فلم أر قط شيئًا كان أحسن منه وهو الذي يمد إليه الميت عينيه إذا حضر . فأصعدني صاحبي فيه ، حتى انتهى بي إلى باب من أبواب السماء . . . » الحديث .

وفي رواية كعب : (فوضعت له مرقاة من فضة ومرقاة من ذهب ، حتى عرج هو جبريل) . وفي رواية لأبي سعيد في « شرف المصطفى » : (أنه أتي بالمعراج من جنة الفردوس ، وأنه منضد باللؤلؤ ، وعن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة) .

وأما المحتج بالتعدد فلا حجة له ، لاحتمال أن يكون التقصير في ذلك الإسراء من الراوي ، وقد حفظه ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم قال : « أتيت بالبراق . . . فوصفه . قال : فركبته ، حتى أتيت ، بيت المقدس ، فربطته بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ، ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ، ركعتين ، ثم

خرجت، فجاءنى جبريل بإناءين . . . فذكر القصة. قال: - ثم عرج بى إلى السماء . . ». وحديث أبى سعيد دال على الاتحاد .

وقوله فى رواية ثابت: « فربطته بالحلقة » أنكره حذيفة. فروى أحمد والترمذى من حديث حذيفة قال: « تحدثون أنه ربطه، أخاف أن يفر منه، وقد سخره له عالم الغيب والشهادة ؟ ». قال البيهقى: المثبت مقدم على النافى. يعنى من أثبت ربط البراق والصلاة فى بيت المقدس، معه زيادة علم على من نفى ذلك، فهو أولى بالقبول .

ووقع فى رواية بريدة عند البزار : (لما كان ليلة أسرى به، فأتى جبريل الصخرة التى ببيت المقدس، فوضع إصبعه فيها، فخرقها، فشد به البراق). ونحوه للترمذى. وأنكر حذيفة أيضًا فى هذا الحديث، أنه صَلَّىَ صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى بيت المقدس، واحتج بأنه لو صلى فيه لكتب عليكم الصلاة فيه، كما كتب عليكم الصلاة فى البيت العتيق .

والجواب عنه : منع التلازم فى الصلاة إن كان أراد بقول : (كتب عليكم) الفرض. وإن أراد التشريع فنلتزمه. وقد شرع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى بيت المقدس، فقرنه بالمسجد الحرام ومسجده فى شد الرحال، وذكر فضيلة الصلاة فيه فى غير ما حديث .

وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى : « حتى أتيت بيت المقدس، فأوثقت دابتى بالحلقة التى كانت الأنبياء تربط بها . . . - وفيه -: فدخلت أنا وجبريل بيت المقدس، فصلى كل واحد منا ركعتين ». وفى رواية أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه نحوه، وزاد: « ثم دخلت المسجد. فعرفت النبيين، من بين قائم وراكع وساجد، ثم أقيمت الصلاة فأممتهم ». وفى رواية يزيد بن أبى مالك عن أنس عند ابن أبى حاتم : « فلم ألبث إلا يسيرًا حتى اجتمع ناس كثيرة، ثم أذن مؤذن، فأقيمت الصلاة، فقمنا صفوفًا ننتظر من يؤمنا، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم ». وفى حديث بن مسعود عند مسلم : « وحانت الصلاة فأممتهم ». وفى حديث ابن عباس عند أحمد: « فلما أتى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم المسجد الأقصى قام يصلى، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه ». وفى حديث عمر عند أحمد أيضًا: أنه لما دخل بيت

المقدس قال : أصلى حيث صلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فتقدم إلى القبلة فصلى .

قال عياض : يحتمل أن يكون صلى بالأنبياء جميعًا فى بيت المقدس ، ثم صعد منهم إلى السماوات من ذكر أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم رآه . ويحتمل أن تكون صلاته بهم بعد أن هبط من السماء ، فهبطوا أيضًا . وقال غيره : رؤيته إياهم فى السماء محمولة على رؤية أرواحهم إلا عيسى ، لما ثبت أنه رفع بجسده ، وقد قيل فى إدريس أيضًا ذلك . وأما الذين صلوا معه فى بيت المقدس ، فيحتمل الأرواح خاصة ، ويحتمل الأجساد بأرواحها . والأظهر أن صلاته بهم ببيت المقدس كان قبل العروج ، والله أعلم .

قال الحافظ رحمه الله : وقد اختلف فى الحكمة فى اختصاص (الأنبياء) كل منهم بالسماء التى التقاه بها . فقيل : ليظهر تفاضلهم فى الدرجات . وقيل : لمناسبة تتعلق بالحكمة فى الاقتصار ، على هؤلاء دون غيرهم من الأنبياء . فقيل : أمروا بملاقاته ، فمنهم من أدركه فى أول وهله ، ومنهم من تأخر فلحق ، ومنهم من فاته . وهذا زيفه السهيلى فأصاب .

وقيل : الحكمة فى الاقتصار على هؤلاء المذكورين ، للإشارة إلى ما سيقع له صلى الله عليه وعلى آله وسلم مع قومه ، من نظير ما وقع لكلَ منهم . فأما آدم فوقع التنبيه بما وقع له من الخروج من الجنة إلى الأرض ، بما سيقع للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الهجرة إلى المدينة . والجامع بينهما ما حصل لكل منهما من المشقة وكراهة فراق ما ألفه من الوطن . ثم مال كل منهما أن يرجع إلى موطنه الذى أخرج منه .

وبعيسى ويحيى على ما وقع له من أول الهجرة من عداوة اليهود وتماديهم على البغى عليه . وإرادتهم وصول السوء إليه . وبيوسف على ما وقع له من إخوانه من قريش فى نصبهم الحرب له ، وإرادتهم هلاكه ، وكانت العاقبة له . وقد أشار إلى ذلك بقوله لقريش يوم الفتح : « أقول كما قال يوسف : ﴿ **لا تثريب عليكم** ﴾ » .

وبإدريس على رفيع منزلته عند الله ، وبهارون على أن قومه رجعوا إلى محبته بعد أن آذوه . وبموسى على ما وقع له من معالجة قومه . وقد أشار إلى ذلك بقول :

« لقد أوذى موسى بأكثر من هذا فصبر » . وهذه مناسبات لطيفة أبداها السهيلى . فأوردتها منقحة ملخصة .

وقد زاد ابن المنير فى ذلك أشياء أضربت عنها ، إذ أكثرها فى المفاضلة بين الأنبياء ، والإشارة فى هذا المقام عندى أولى من تطويل العبارة وذكر فى مناسبة لقاء إبراهيم فى السماء السابعة معنى لطيفًا زائدًا ، وهو ما اتفق له صلى الله عليه وعلى آله وسلم من دخول مكة فى السنة السابعة وطوافه بالبيت ، ولم يتفق له الوصول إليها بعد الهجرة قبل هذه ، بل قصدها فى السنة السادسة فصدوه عن ذلك .

قال ابن أبى جمرة : الحكمة من كون آدم فى السماء الدنيا ، لأنه أول الأنبياء وأول الآباء ، وهو أصل ، فكان أولاً فى الأولى ، ولأجل تأنيس النبوة بالأبوة . وعيسى فى الثانية لأنه أقرب الأنبياء عهدًا من محمد ، ويليه يوسف لأن أمة محمد تدخل الجنة على صورته . وإدريس فى الرابعة لقوله : ﴿ **ورفعناه مكانًا عليًا** ﴾ والرابعة من السبع وسط معتدل . وهارون لقربه من أخيه موسى . وموسى أرفع منه لفضل كلام الله . وإبراهيم لأنه الأب الأخير ، فناسب أن يتجدد للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلقيه أنس . لتوجهه بعده إلى عالم آخر ، وأيضًا ، فمنزلة الخليل تقتضى أن تكون أرفع المنازل ، ومنزلة الحبيب أرفع من منزلته ، فلذلك ارتفع النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن منزلة إبراهيم إلى قاب قوسين أو أدنى .

***

لقاء النبي بالأنبياء

* إدريس.
* بكاء موسى .. لماذا.
* لماذا راجع موسى ﷺ.
* السماء الدنيا.

*** لقاء النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى السماء :**

واختلف فى حال الأنبياء عند لقى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إياهم ليلة الإسراء : هل أسرى بأجسادهم لملاقاة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تلك اللَيلة ، أو أن أرواحهم مستقرة فى الأماكن التى لقيهم النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم بها ، وأرواحهم مشكلة بشكل أجسادهم ، كما جزم به أبو الوفاء بن عقيل ؟ واختار الأول بعض شيوخنا ، واحتج بما ثبت فى مسلم عن أنس أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « رأيت موسى ليلة أسرى بى قائمًا يصلى فى قبره » . فدل على أنه أسرى به لما مر به . قلت : ليس ذلك بلازم ، بل يجوز أن يكون لروحه اتصال بجسده فى الأرض ، فلذلك يتمكن من الصلاة وروحه مستقرة فى السماء .

أما منازلهم فالذى أشكل رواية أنس عن أبى ذر وقول أنس : فذكر أنه وجد فى السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ، ولم يثبت كيف منازلهم . غير أنه ذكر أنه وجد آدم فى السماء الدنيا وإبراهيم فى السماء السادسة .

قال الحافظ رحمه الله : والثابت فى جميع الروايات غير هاتين أنه - يعنى إبراهيم - فى السابعة . فإن قلنا بتعدد المعراج فلا تعارض ، وإلا فالأرجح رواية الجماعة ، لقوله فيها : « أنه رآه مسندًا ظهره إلى البيت المعمور » ، وهو فى السابعة بلا خلاف . وأما ما جاء على أنه فى السادسة عند شجرة طوبى فإن ثبت حمل على أنه البيت الذى فى السادسة بجانب شجرة طوبى ، لأنه جاء عنه : أن فى كل سماء بيتًا يحاذى الكعبة ، وكل منها معمور بالملائكة .

وقال الحافظ فى موضع آخر : وقد توافقت (رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة) مع رواية ثابت عن أنس عند مسلم : أن فى الأولى آدم وفى الثانية يحيى وعيسى وفى الثالثة يوسف وفى الرابعة إدريس وفى الخامسة هارون وفى السادسة موسى وفى السابعة إبراهيم .

وخالف ذلك الزهرى فى روايته عن أنس عن أبى ذر : أنه لم يثبت أسماءهم وقال فيه : « وإبراهيم فى السماء السادسة » . ووقع فى رواية شريك عن أنس : أن إدريس فى الثالثة وهارون فى الرابعة وآخر فى الخامسة . وسياقه يدل على أنه لم

يضبط منازلهم أيضًا، كما صرح به الزهرى. ورواية من ضبط أولى، ولا سيما مع اتفاق قتادة وثابت. وقد وافقهما يزيد بن أبى مالك عن أنس، إلا أنه خالف فى إدريس وهارون، فقال: هارون فى الرابعة وإدريس فى الخامسة، ووافقهم أبو سعيد، إلا أن فى (روايته): يوسف فى الثانية وعيسى ويحيى فى الثالثة. والأول أثبت .

* بكاء موسى لما رأى منزلة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

أما بكاء موسى وقوله : « بكى لأن غلامًا بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى : وفى رواية شريك عن أنس : « لم أظن أحدًا يرفع على » وفى حديث أبى سعيد : « قال موسى : يزعم بنو إسرائيل أنى أكرم على الله، وهذا أكرم على الله منى ». زاد الأموى فى روايته : « ولو كان هذا وحده هان على، ولكن معه أمته، وهم أفضل الأمم عند الله ». وفى رواية أبى عبيدة بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : (أنه مر بموسى عليه السلام وهو يرفع صوته فيقول : أكرمته وفضلته. فقال جبريل هذا موسى. قلت : على من تذمره ؟ قال : على ربه. قلت : على ربه ؟ قال : إنه يعرف ذلك منه) .

قال العلماء : لم يكن بكاء موسى حسدًا، معاذ الله، فإن الحسد فى ذلك العالم منزوع عن آحاد المؤمنين، فكيف بمن اصطفاه الله تعالى. بل كان أسفًا على ما فاته من الأجر الذى يترتب عليه رفع الدرجة، بسبب ما وقع من أمته، من كثرة المخالفة المقتضية لتنقيص أجورهم المستلزم لتنقيص أجره، لأن لكل نبى مثل أجر كل من اتبعه، ولهذا كان من اتبعه من أمته فى العدد، دون من اتبع نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، مع طول مدتهم بالنسبة لهذه الأمة. وأما قوله : « غلام » يعنى فى رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة. فليس على سبيل التنقيص، بل على سبيل التنويه بقدرة الله وعظيم كرمه إذ أعطى لمن كان فى ذلك السن مالم يعطيه أحدًا قبله، ممن هو أسن منه وقد وقع من موسى من العناية بهذه الأمة، من أمر الصلاة، مالم يقع لغيره. ووقعت الإشارة لذلك فى حديث أبى هريرة عند الطبرى والبزار، قال عليه الصلاة والسلام : « كان موسى أشدهم على حين مررت به، وخيرهم لى

حين رجعت إليه » وفى حديث أبى سعيد : « . . فأقبلت راجعًا فمررت بموسى ، ونعم الصاحب كان لكم ، فسألنى : كم فرض عليك ربك ؟ . . » الحديث .

قال ابن أبى جمرة : إن الله جعل الرحمة فى قلوب الأنبياء أكثر مما جعل فى قلوب غيرهم ، لذلك بكى رحمة لأمته أما قوله : « هذا الغلام » فأشار إلى صغر سنه بالنسبة إليهم . قال الخطابى : العرب تسمى الرجل المستجمع السن غلامًا ، ما دامت فيه بقية من القوة .

ويظهر لى أن موسى عليه السلام ، أشار إلى ما أنعم الله به على نبينا ، عليهما الصلاة والسلام ، من استمرار القوة فى الكهولية ، وإلى أن دخل فى سن الشيخوخة ، ولم يدخل على بدنه هرم ، ولا اعترى قوته نقص ، حتى إن الناس فى قدومه المدينة (كما روى البخارى) من حديث أنس ، لما رأوه مردفًا أبا بكر ، أطلقوا عليه اسم الشاب ، وعلى أبى بكر اسم الشيخ ، مع كونه فى العمر أسن من أبى بكر ، والله أعلم .

وقال القرطبى : الحكمة فى تخصيص موسى بمراجعة النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى أمر الصلاة ، لعلها لكون أمة موسى كلفت من الصلوات ، بما لم تكلف به غيرها من الأمم ، فثقلت عليهم ، فأشفق موسى على أمة محمد من مثل ذلك . ويشير إلى ذلك قوله : « إنى قد جربت الناس قبلك . . . » انتهى وقال غيره : لعلها من جهة أنه ليس فى الأنبياء من له أتباع أكثر من موسى ولا من له كتاب أكبر ، ولا أجمع للأحكام من هذه الجهة ، مضاهيًا للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فناسب أن يتمنى أن يكون له مثل ما أنعم به عليه ، من غير أن يريد زواله عنه . وناسب أن يطلعه على ما وقع له ، وينصحه فيما يتعلق به . ويحتمل أن يكون موسى لما غلب عليه فى الابتداء الأسف على نقص حظ أمته بالنسبة لأمة محمد ، حتى تمنى ما تمنى أن يكون ، استدرك ذلك ببذل النصيحة لهم والشفقة عليهم ، ليزيل ما عساه أن يتوهم عليه فيما وقع منه فى الابتداء .

وذكر السهيلى : أن الحكمة فى ذلك ، أنه كان رأى فى مناجاته صفة أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فدعا الله أن يجعله منهم ، فكان إشفاقه عليهم كعناية من هو منهم .

وقد وقع من موسى عليه السلام فى هذه القصة، من مراعاة جانب النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه أمسك عن جميع ما وقع له، حتى فارقه النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أدبًا معه وحسن عشرة، فلما فارقه بكى، وقال ما قال .

* * *

من عجائب ما رأى في السماء السابعة

﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾

* البيت المعمور.
* الملائكة.
* سدرة المنتهى.
* الأنهار التي في السماء.

* البيت المعمور :

أخرج البخارى عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنه . . وقال فيه : « . . فلما خلصت ، فإذا بإبراهيم . قال : هذا أبوك فسلم عليه . قال : فسلمت عليه ، فرد السلام ، ثم قال : مرحبًا بالابن الصالح والنبى الصالح ثم رفعت لى سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر ، وإذا ورقها مثل آزان الفيلة . قال : هذه سدرة المنتهى ، وإذا أربعة أنهار : نهران باطنان ونهران ظاهران . فقلت : ما هذان يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان ، فنهران فى الجنة ، وأما الظاهران فالنيل والفرات . ثم رفع لى البيت المعمور . . » الحديث . وقال البخارى فى موضع آخر : حدثنا هدبة بن خالد : حدثنا همام : عن قتادة وقال لى خليفة : حدثنا يزيد بن زريع : حدثنا سعيد وهشام قالا : حدثنا قتادة حدثنا أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة . . وقال فيه : « فأتينا السماء السابعة قيل : من هذا ؟ قيل : جبريل . قيل : من معك ؟ قيل : محمد . قيل : وقد أرسل إليه ؟ مرحبًا به ، ولنعم المجىء جاء . فأتيت على إبراهيم ، فسلمت عليه ، فقال : مرحبًا بك من ابن ونبى . فرفع لى البيت المعمور . فسألت جبريل فقال : هذا البيت المعمور ، يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك ، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم . . . . » الحديث .

وقال البخارى فى آخره : وقال همام عن قتادة عن الحسن : عن أبى هريرة رضى الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم « فى البيت المعمور » . قال الحافظ رحمه الله : يريد - يعنى البخارى - أن همامًا فصل فى سياقه قصة البيت المعمور ، من قصة الإسراء ، فروى أصل الحديث عن قتادة عن أنس ، وقصة البيت عن قتادة عن الحسن . وأما سعيد - وهو ابن أبى عروبة وهشام - وهو الدستوائى - ، فأدرجا قصة المعمور فى حديث أنس . والصواب رواية همام وهى موصولة هنا عن هدبة عنه . ووهم من زعم أنها معلقة ، فقد روى الحسن بن سفيان فى « مسنده » الحديث بطوله عن هدبة ، فاقتص الحديث إلى قوله : « فرفع لى البيت المعمور » قال قتادة : فحدثنا عن أبى هريرة أنه (رأى البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون فيه) . وأخرجه الإسماعيلى عن الحسن بن سفيان وأبى يعلى والبغوى وغير واحد ، كلهم عن هدبة به مفَصلاً .

وعرف بذلك مراد البخارى بقوله : « فى البيت المعمور » . وأخرج من طريق

سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: « البيت المعمور مسجد فى السماء بحذاء الكعبة، لو خر لخر عليها يدخله سبعون ألف ملك كل يوم، إذا خرجوا منه لم يعودوا » .

وهذا وما قبله يشعر بأن قتادة كان تارة يدرج قصة البيت المعمور فى حديث أنس، وتارة يفصلها. حين يفصلها تارة يذكر سندها وتارة يبهمه. وقد روى إسحاق فى « مسنده » والطبرى وغير واحد من طريق خالد بن عرعرة عن على: (أنه سئل عن السقف المرفوع قال: السماء) وعن البيت المعمور قال: بيت فى السماء بحيال البيت. حرمته فى السماء كحرمة هذا فى الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ولا يعودون إليه) وفى رواية للطبرى: أن السائل عن ذلك هو عبد الله بن الكوا .

ولابن مردويه عن ابن عباس نحوه، وزاد: (وهو على مثل البيت الحرام، لو سقط لسقط عليه) من حديث عائشة. ونحوه بإسناد صالح. ومن حديث عبد الله ابن عمرو نحوه بإسناد ضعيف. وهو عند الفاكهى فى « كتاب مكة » بإسناد صحيح عنه. لكن موقفًا عليه، وروى ابن مردويه أيضًا وابن أبى حاتم من حديث أبى هريرة مرفوعًا نحو حديث على وزاد: (وفى السماء نهر يقال له: نهر الحيوان، يدخله جبريل كل يوم، فينغمس، ثم يخرج، فينتفض فيخر عنه سبعون ألف قطرة، يخلق الله من كل قطرة ملكًا فهم الذين يصلون فيه، ثم لا يعودون إليه)، وإسناده ضعيف. وقد روى ابن المنذر نحوه بدون ذكر النهر من طريق صحيحة عن أبى هريرة، لكن موقوفًا .

وجاء عن الحسن ومحمد بن عباد بن جعفر: أن البيت المعمور هو الكعبة والأول أكثر وأشهر. وأكثر الروايات أنه فى السماء السابعة. وجاء من وجه آخر عن أنس مرفوعًا أنه فى السماء الرابعة، وبه جزم شيخنا فى « القاموس ». وقيل: هو فى السماء السادسة، وقيل: هو تحت العرش. وقيل: إنه بناه آدم لما أهبط إلى الأرض، ثم رفع زمن الطوفان. وكأن هذا شبهة من قال: إنه الكعبة ويسمى البيت المعمور. الضراح والضريح .

واستدل منه على أن الملائكة أكثر المخلوقات لأنه لا يعرف من جميع العوالم ما ينجرد من جنسه فى كل يوم سبعون ألفًا غير ما ثبت عن الملائكة فى هذا الخبر .

*** سدرة المنتهى :**

ذكرنا ما أخرجه البخارى من حديث مالك بن صعصعة فى سدرة المنتهى فى شواهد الباب وشواهد البيت المعمور . وضبط قوله : « رفعت » مرة بفتح العين وسكون التاء ، ومرة بسكون العين وضم التاء .

قال الحافظ رحمه الله : ويجمع بين الروايتين ، بأن المراد أنه رفع إليها : أى ارتقى به وظهرت له . والرفع إلى الشيء يطلق على التقريب منه . وقد قيل فى قوله تعالى : ﴿ **وفرش مرفوعة** ﴾ : أى تقرب لهم .

ووقع بيان سبب تسميتها سدرة المنتهى فى حديث ابن مسعود عند مسلم ولفظه : لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال : « انتهى بى إلى سدرة المنتهى ، وهى فى السماء السادسة ، وإليها ينتهى ما يعرج من الأرض ، فيقبض منها ، وإليها ينتهى ما يهبط فيقبض منها » . وقال النووى : سميت سدرة المنتهى لأن علم الملائكة ينتهى إليها ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم . قلت : وهذا لا يعارض حديث ابن مسعود المتقدم . لكن حديث ابن مسعود ثابت فى الصحيح ، فهو أولى بالاعتماد . قلت : وأورد النووى هذا بصيغة التمريض فقال : وحكى عن ابن مسعود أنها سميت بذلك . . إلخ . هكذا أورده ، فأشعر بضعفه عنده ، ولا سيما ولم يصرح برفعه ، وهو صحيح مرفوع .

وقال القرطبى فى « المفهم » ظاهر حديث أنس أنها فى السابعة ، لقوله بعد ذكر السماء السابعة : « ثم ذهب بى إلى السدرة » . وفى حديث ابن مسعود أنها فى السادسة ، وهذا تعارض لا شك فيه ، وحديث أنس هو قول الأكثر ، وهو الذى يقتضيه وصفها بأنها التى ينتهى إليها علم كل نبى مرسل ، وكل ملك مقرب ، على ما قال كعب . قال : وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله ، أو من أعلمه . وبهذا جزم إسماعيل بن أحمد .

وقال غيره : إليها منتهى أرواح الشهداء . قال : ويترجح حديث أنس بأنه مرفوع ، وحديث ابن مسعود موقوف . كذا قال ، ولم يعرج على الجمع ، بل جزم بالتعارض قلت : ولا يعارض قوله : أنها فى السادسة ما دلت عليه بقية الأخبار ، أنه وصل إليها بعد أن دخل السماء السابعة لأنه يحمل على أن أصلها فى السماء

السادسة، وأغصانها وفروعها فى السابعة، وليس فى السادسة منها إلا أصل ساقها .

[وفى] حديث أبى ذر : فغشيها ألوان لا أدرى ما هى وبقية حديث ابن مسعود المذكور : قال الله تعالى : ﴿ **إذ يغشى السدرة ما يغشى** ﴾ قال : فراش من ذهب كذا فسر المبهم فى قوله : ﴿ **ما يغشى** ﴾ بالفراش . ووقع فى رواية يزيد بن أبى مالك عن أنس : « جراد من ذهب » . قال البيضاوى : وذكر الفراش وقع على سبيل التمثيل، لأن من شأن الشجر أن يسقط عليها الجراد وشبهه، وجعلها من الذهب لصفاء لونها وإضاءتها فى نفسها . انتهى . ويجوز أن يكون من الذهب حقيقة، ويخلق فيها الطيران، والقدرة صالحة لذلك وفى حديث أبى سعيد وابن عباس : « يغشاها الملائكة » وفى حديث أبى سعيد عند البيهقى : « على كل ورقة منها ملك » ووقع فى رواية ثابت عن أنس عند مسلم : « فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها » وفى رواية حميد عن أنس عند ابن مردويه نحوه، لكن قال : « تحولت قوتًا » ونحو ذلك .

قال ابن دحية : اختيرت السدرة دون غيرها، لأن فيها ثلاثة أوصاف : ظل ممدود وطعام لذيذ، ورائحة زكية، فكانت بمنزلة الإيمان الذى يجمع القول والعمل والنية . والظل بمنزلة العمل، والطعم بمنزلة النية، والرائحة بمنزلة القول .

* الأنهار التى رآها النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم :

ورد ذكرها فيما أخرجه البخارى من حديث قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة وفيه : « قال : هذه سدرة المنتهى . وإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان . فقلت : ما هذه يا جبريل ؟ قال : أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات » .

وفى لفظ آخر عن مالك : « فى أصلها - يعنى سدرة المنتهى - أربعة أنهار . . » الحديث .

ووقع فى رواية شريك : « فإذا هو فى السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال : ما هذان النهران يا جبريل ؟ قال : هذان النيل والفرات، عنصرهما . ثم مضى فى السماء فإذا بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك أذفر .

قال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : الكوثر الذى خبأ لك ربك . . » الحديث .

قال : الحافظ رحمه الله : ووقع فى « صحيح مسلم » من حديث أبى هريرة :

أربعة أنهار فى الجنة : النيل والفرات وسيحان وجيحان » فيحتمل أن تكون سدرة المنتهى مغروسة فى الجنة ، والأنهار تخرج من تحتها ، فيصح أنها من الجنة .

قال ابن أبى جمرة : فيه أن الباطن أجل من الظاهر ، لأن الباطن جعل فى دار البقاء ، والظاهر جعل فى دار الفناء ، ومن ثم كان الاعتماد على ما فى الباطن كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » .

[و] قوله : « وأما الظاهران فالنيل والفرات » : وقع فى رواية شريك : أنه رأى فى السماء الدنيا نهرين يطردان ، فقال له جبريل : هما النيل والفرات عنصرهما - والعنصر ، بضم العين والصاد المهملتين بينهما نون ساكنة : هو الأصل - والجمع بينهما ، أنه رأى النهرين عند سدرة المنتهى ، مع نهرى الجنة ، ورآهما فى الدنيا دون نهرى الجنة ، وأراد بالعنصر عنصر امتيازهما بسماء الدنيا . كذا قال ابن دحية .

ووقع فى حديث شريك أيضًا : « ومضى به يرقى السماء ، فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد ، فضرب بيده ، فإذا هو مسك أذفر . فقال : ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك » . ووقع فى رواية يزيد بن أبى مالك عن أنس عند ابن أبى حاتم : أنه بعد أن رأى إبراهيم قال : « ثم انطلق بى على ظهر السماء السابعة حتى انتهى إلى نهر عليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طير خضر ، أنعم طير رأيت . قال جبريل : هذا الكوثر الذى أعطاك الله ، فإذا فيه آنية الذهب والفضة يجرى على رضراض من الياقوت والزمرد ، ماؤه أشد بياضًا من اللبن . قال : فأخذت من آنيته ، فاغترفت من ذلك الماء ، فشربت ، فإذا هو أحلى من العسل وأشد رائحة من المسك » .

وفى حديث أبى سعيد : « فإذا فيها عين تجرى ، يقال لها السلسبيل ، فينشق منها نهران : أحدهما الكوثر ، والآخر يقال له : نهر الرحمة » . قلت : فيمكن أن يفسر بهما النهران الباطنان المذكوران فى حديث الباب . وكذا روى عن مقاتل قال : الباطنان : السلسبيل والكوثر .

وأما الحديث الذى أخرجه مسلم بلفظ : « سيحان وجيحان والنيل والفرات من أنهار الجنة » ، فلا يغاير هذا ، لأن المراد به أن فى الأرض أربعة أنهار أصلها من الجنة ، وحينئذ لم يثبت لسيحون وجيحون أنهما ينبعان من أصل سدرة المنتهى ، فيمتاز النيل والفرات عليهما بذلك . وأما الباطنان المذكوران فى حديث الباب ، فهما سيحون وجيحون ، والله أعلم .

قال النووى : فى هذا الحديث أن أصل النيل والفرات من الجنة ، وأنهما يخرجان من أصل سدرة المنتهى ، ثم يسيران حيث شاء الله ، ثم ينزلان إلى الأرض ، ثم يسيران فهما يخرجان منها ، وهذا لا يمنعه العقل ، وقد شهد به ظاهر الخبر ، فليعتمد . وأما قول عياض : إن الحديث يدل على أن أصل سدرة المنتهى فى الأرض ، لكونه قال : إن النيل والفرات يخرجان من أصلها ، وهما بالمشاهدة يخرجان من الأرض ، فيلزم منه أن يكون أصل السدرة فى الأرض ، وهو متعقب : فإن المراد بكونهما يخرجان من أصلها غير خروجهما بالنبع من الأرض .

والحاصل أن أصلها فى الجنة ، وهما يخرجان أولاً من أصلها ، ثم يسيران إلى أن يستقرا فى الأرض ، ثم ينبعان . واستدل به على فضيلة ماء النيل والفرات لكون منبعهما من الجنة وكذا سيحان وجيحان .

قال القرطبى : لعل ترك ذكرهما فى حديث الإسراء ، لكونهما ليسا أصلاً برأسهما وإنما يحتمل أن يتفرعا عن النيل والفرات . قال : وقيل : إنما أطلق على هذه الأنهار أنها أنهار من الجنة تشبيهًا لها بأنهار الجنة ، لما فيها من شدة العذوبة والحسن والبركة . والأول أولى ، والله أعلم .

***

هل رأى النبي ربه؟

* آراء العلماء.
* نفي السيدة عائشة ذلك .
* أقوال السلف في هذا الأمر.

*** هل رأى الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه ليلة الإسراء :**

وقع فى رواية شريك المذكورة أولاً قوله : « حتى جاء سدرة المنتهى ، ودنا رب العزة فتدلى ، حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى ، فأوحى الله فيما أوحى : خمسين صلاة على أمتك . . » الحديث .

وأخرج البخارى عن مسروق قال : قلت لعائشة رضى الله عنها : يا أمتاه هل رأى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه ؟ فقالت : لقد قف شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب : من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب . ثم قرأت : ﴿ **لا تدركه الأبصار، وهو يدرك الأبصار، وهو اللطيف الخبير** ﴾ ، ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيًا أو من وراء حجاب** ﴾ .

ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب . ثم قرأت : ﴿ **وما تدرى نفس ماذا تكسب غدًا** ﴾ . ومن حدثك أنه كتم فقد كذب . ثم قرأت : ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ الآية .

ولكن رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين .

قال الحافظ رحمه الله . ووقع فى رواية ميمون بن سياه عن أنس عند الطبرى «فدنا ربك عز وجل ، فكان قاب قوسين أو أدنى» . قال الخطابى : ليس فى هذا الكتاب - يعنى « صحيح البخارى » - حديث أشنع ظاهرًا ولا أشنع مذاقًا من هذا الفضل ، فإنه يقتضى تحديد المسافة بين أحد المذكورين وبين الآخر ، وتمييز ما كان كل واحد منهما . هذا ، إلى ما فى التدلى من التشبيه والتمثيل له بالشىء الذى تعلق من فوق إلى أسفل .

قال : فمن لم يبلغه من هذا الحديث إلا هذا القدر مقطوعًا عن غيره . ولم يعتبره بأول القصة وآخرها ، اشتبه عليه وجهه ومعناه . وكان قصاراه إما رد الحديث من أصله ، وإما الوقوع فى التشبيه . وهما خطئان مرغوب عنهما . وأما من اعتبر أول الحديث بآخره ، فإنه يزول عنه الإشكال ، فإنهما مصرح فيهما بأنه كان رؤيا ، لقوله فى أوله : (وهو نائم) ، وفى آخره : (استيقظ) . وبمعنى الرؤيا مثل يضرب . ليتأول على الوجه الذى يجب أن يصرف إليه معنى التعبير فى مثله . وبعض الرؤيا لا يحتاج إلى ذلك ، بل يأتى كالمشاهدة .

قلت وهو كما قال : ولا التفات إلى تعقب كلامه بقوله فى الحديث الصحيح :

« إن رؤيا الأنبياء وحى » ، فلا يحتاج إلى تعبير ، لأنه كلام من لم يمعن النظر فى هذا المحل ، (فإن) بعض مرأى الأنبياء يقبل التعبير : ومن أمثلة ذلك قول الصحابة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى رؤية القميص : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : « الدين » . وفى رؤية اللبن ؟ قال : « العلم » إلى غير ذلك .

لكن جزم الخطابى بأنه كان فى المنام متعقب بما تقدم تقريره قبل . ثم قال الخطابى مشيرًا إلى رفع الحديث من أصله : بأن القصة بطولها إنما هى حكاية يحكيها أنس من تلقاء نفسه ، لم يعزها إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا نقلها عنه ، ولا أضافها إلى قوله . فحاصل الأمر فى النقل ، أنها من جهة الراوى : إما من أنس وإما من شريك ، فإنه كثير التفرد بمناكير الألفاظ التى لا يتابعه عليها سائر الرواة . انتهى .

وما نفاه من أن أنسًا لم يسند هذه القصة إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا تأثير له ، فأدنى أمره فيها أن يكون مرسل صحابى ، فإما يكون تلقاه عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أو عن صحابى تلقاه عنه ، ومثل ما اشتملت عليه لا يقال بالرأى ، فيكون لهما حكم الرفع . ولو كان لما ذكره تأثير ، لم يحمل حديث أحد روى مثل ذلك على الرفع أصلاً ، وهو خلاف عمل المحدثين قاطبة فالتعليل بذلك مردود .

ثم قال الخطابى : إن الذى وقع فى هذه الرواية من نسبة التدلى للجبار عز وجل مخالف لعامة السلف والعلماء وأهل التفسير ، ومن تقدم منهم ومن تأخر قال : والذى قيل فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه دنا جبريل من محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فتدلى : أى تقرب منه . وقيل : هو على التقديم والتأخير ، أى تدلى فلانًا ، لأن التدلى بسبب الدنو .

الثانى : تدلى له جبريل بعد الانتصاب والارتفاع ، حتى رآه متدليًا كما رآه مرتفعًا ، وذلك من آيات الله ، حيث أقدره على أن يتدلى فى الهواء من غير اعتماد على شىء ولا تمسك بشىء .

الثـالث : دنا جبريل فتدلى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ساجدًا لربه تعالى : شكرًا على ما أعطاه .

قال : وقد روى هذا الحديث عن أنس من غير طريق شريك فلم يذكر فيه هذه الألفاظ الشنيعة ، وذلك مما يقوى الظن أنها صادرة من جهة شريك وقد أخرج الأموى فى « مغازيه » ، ومن طريقه البيهقى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ قال : دنا منه ربه ، وهذا سند حسن ، وهو شاهد قوى لرواية شريك . ثم قال الخطابى : وفى هذا الحديث لفظة أخرى تفرد بها شريك أيضًا لم يذكرها غيره ، وهى قوله : (فعلا به – يعنى جبريل – إلى الجبار تعالى فقال وهو مكانه : يارب خفف عنا) . قال : والمكان لا يضاف إلى الله تعالى ، إنما هو مكان النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى مقامه الأول ، الذى قام فيه قبل هبوطه . انتهى .

وهذا الأخير متعين ، وليس فى السياق تصريح بإضافة المكان إلى الله تعالى . وأما ما جزم به من مخالفة السلف والخلف لرواية شريك عن أنس فى التدلى ففيه نظر ، فقد ذكرت من وافقه .

وقد نقل القرطبى عن ابن عباس أنه قال : (دنا الله سبحانه وتعالى) (قال : والمعنى : دنا أمره وحكمه ، وأصل التدلى النزول إلى الشىء حتى يقرب منه . قال : وقد قيل : تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى جلس عليه . ثم دنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من ربه . انتهى .

والمراد بقوله : (رآه) أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى جبريل ، له ستمائة جناح ، (وسيأتى) بسط القول فى ذلك . ونقل البيهقى نحو ذلك عن أبى هريرة . قال : فاتفقت روايات هؤلاء على ذلك ، ويعكر عليه قوله بعد ذلك : ﴿**فأوحى إلى عبده ما أوحى**﴾ . ثم نقل عن الحسن : أن الضمير فى ﴿ **عبده** ﴾ لجبريل ، والتقدير : فأوحى الله إلى جبريل . وعن الفراء : التقدير : فأوحى الله إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما أوحى . وقد أزال العلماء إشكاله . فقال القاضى عياض فى « الشفاء » :

إضافة الدنو والقرب إلى الله تعالى، أو من الله ليس دنو مكان ولا قرب زمان، وإنما هو بالنسبة إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إبانة لعظيم منزلته وشريف رتبته، وبالنسبة إلى الله عز وجل تأنيس لنبيه وإكرام له. ويتأول فيه ما قالوه فى حديث: « ينزل ربنا إلى السماء ».

وكذا فى حديث: « من تقرب منى شبراً تقربت منه ذراعًا ». وقال غيره الدنو مجاز عن القرب المعنوى، لإظهار عظيم منزلته عند ربه تعالى، والتدلى طلب زيادة القرب، و(قاب قوسين) بالنِّسبة إلى النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عبارة عن لطف المحل وإيضاح المعرفة، وبالنسبة إلى الله إجابة سؤاله ورفع درجته.

وقال عبد الحق فى « الجمع بين الصحيحين »: زاد فيه - يعنى شريكًا - زيادة مجهولة وأتى فيه بألفاظ غير معروفة، وقد روى الإسراء جماعة من الحفاظ، فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك، وشريك ليس بالحافَظ.

وسبق إلى ذلك أبو محمد بن حزم، فيما حكاه الحافظ أبو الفضل بن طاهر فى جزء جمعه سماه: « الانتصار لأيامى الأمصار ». فنقل فيه عن الحميدى عن ابن حزم قال: لم نجد للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيئًا لا يحتمل مخرجًا إلا حديثين، ثم غلبه فى تخريجه الوهم، مع إتقانهما وصحة معرفتهما..

فذكر هذا الحديث وقال: فيه ألفاظ معجمة، والآفة من شريك. ومن ذلك قوله: (قبل أن يوحى إليه)، وأنه حينئذ فرض الصلاة. قال: وهذا لا خلاف بين أحد من أهل العلم إنما كان قبل الهجرة بسنة، وبعد أن أوحى إليه بنحو اثنتى عشرة سنة. ثم قوله: (إن الجبار دنا فتدلى) حتى كان منه (قاب قوسين أو أدنى)، وعائشة رضى الله عنها تقول: إن الذى دنا فتدلى جبريل. انتهى.

وقال أبو الفضل بن طاهر: تعليل الحديث بتفرد شريك ودعوى ابن حزم أن الآفة منه، شىء لم يسبق إليه. فإن شريكًا قبله أئمة الجرح والتعديل ووثقوه، ورووا عنه، وأدخلوا أحاديثه فى تصانيفهم، واحتجوا به. وروى عبد الله بن أحمد الدورقى وعثمان الدارمى وعباس الدورى، عن يحيى بن معين: لا بأس به. وقال ابن عدى: مشهور من أهل المدينة حدث عنه مالك وغيره من الثقات، وحديثه إذا روى عنه ثقة لا بأس به، إلا أن يروى عنه ضعيف. قال طاهر بن طاهر: وحديثه هذا رواه

عن ثقة وهو سليمان بن بلال . قال : وعلى تقدير تسليم تفرده : (قبل أن يوحى إليه) لا يقتضى طرح حديثه ، فوهم الثقة فى موضع من الحديث ، لا يسقط جميع الحديث ، ولا سيما إذا كان الوهم لا يستلزم ارتكاب محذور ، ولو ترك حديث من وهم فى تاريخ لترك حديث جماعة من أئمة المسلمين .

ولعله أراد أن يقول : (بعد أن أوحى إليه) فقال : (قبل أن يوحى إليه) . انتهى .

وقد سبق التنبيه على ما فى رواية شريك من المخالفة لمسلم فى (صحيحه) فإنه قال بعد أن ساق سنده وبعض المتن ، ثم قال : فقدم وأخر وزاد ونقص . وسبق ابن حزم أيضًا إلى الكلام فى شريك أبو سليمان الخطابى ، كما قدمته . وقال فيه النسائى وأبو محمد بن الجارود : ليس بالقوى . وكان يحيى بن سعيد القطان لا يحدث عنه ، نعم ، قال محمد بن سعد وأبو داود . ثقة . فهو مختلف فيه ، فإذا تفرد عد ما يتفرد به شاذًا ، وكذا منكرًا ، على رأى من يقول : المنكر والشاذ شىء واحد . والأولى الالتزام ورود المواضع التى خالف فيها غيره والجواب عنها ، إما بدفع فرده وإما بتأويله على وفاق الجماعة .

ومجموع ما خالفت فيه رواية شريك غيره من المشهورين عشرة أشياء ، بل تزيد على ذلك :

الأول : أمكنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى السماوات . وقد أفصح بأنه لم يضبط منازلهم ، وقد وافقه الزهرى فى بعض ما ذكر (يعنى فى رواية أبى ذر) .

الثانى : كون المعراج قبل البعثة . وقد سبق الجواب عن ذلك . وأجاب بعضهم على قوله : (قبل أن يوحى إليه) ، بأن القبلية هنا فى أمر مخصوص وليست مطلقة ، واحتمل أن يكون المعنى : قبل أن يوحى إليه فى شأن الإسراء والمعراج مثلاً ، أى أن ذلك وقع بغتة قبل أن ينذر به ، ويؤيده قوله فى حديث الزهرى - يعنى حديث أبى ذر - : « فرج سقف بيتى » .

الثالث : كونه منامًا . وقد سبق الجواب عنه أيضًا بما فيه غنية .

الرابع : مخالفته فى محل سدرة المنتهى ، وأنها فوق السماء السابعة بما لا يعلمه إلا الله والمشهور أنها فى السابعة أو السادسة كما تقدم .

الخامس : مخالفته فى النهرين ، وهما النيل والفرات ، وأن عنصرهما فى السماء الدنيا ، والمشهور فى غير روايته أنهما فى السماء السابعة ، وأنهما من تحت سدرة المنتهى .

السادس : شق الصدر عند الإسراء ، وقد وافقته رواية غيره ، كما بينت فى شرح رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة .

السابع : ذكر نهر الكوثر فى السماء الدنيا . والمشهور فى الحديث أنه فى الجنة كما تقدم التنبيه عليه .

الثامن : نسبة الدنو والتدلى إلى الله عز وجل . والمشهور فى الحديث أنه جبريل ، كما تقدم التنبيه عليه .

التاسع : تصريحه بأن امتناعه صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الرجوع إلى سؤال ربه التخفيف كان عند الخامسة . ومقتضى رواية ثابت عن أنس أنه كان بعد التاسعة .

العاشر : قوله : (فعلا به الجبار ، فقال وهو مكانه) وقد تقدم ما فيه .

الحادى عشر : رجوعه بعد الخمس . والمشهور فى الأحاديث أن موسى عليه الصلاة والسلام أمره بالرجوع بعد أن انتهى التخفيف إلى الخمس . فامتنع .

(والمحفوظ أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لموسى فى الأخيرة : «استحييت من ربى» وهذا أصرح بأنه راجع فى الأخيرة) .

الثانى عشر : زيادة ذكر « التور » فى الطست .

فهذه أكثر من عشرة مواضع فى هذا الحديث أنا لم أرها مجموعة فى كلام أحد ممن تقدم ، وقد بينت فى كل واحد إشكال ما استشكله والجواب عنه إن أمكن ، وبالله التوفيق .

وقد جزم ابن القيم فى « الهدى » بأن فى رواية شريك عشرة أوهام ، لكن عد مخالفته لمحال الأنبياء أربعة منها ، وأنا جعلتها واحدة . فعلى طريقته تزيد العدة ثلاثة . وبالله التوفيق .

*** عائشة تنفى رؤية الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم :**

وقال الحافظ رحمه الله فى شرح حديث مسروق عن عائشة فى نفيها رؤية محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه .

[و] فى رواية الترمذى زيادة قصة فى سياقه ، فأخرج من طريق مجالد عن الشعبى قال : (لقى ابن عباس كعبًا بعرفة ، فسأله عن شىء ، فكبر كعب حتى جاوبته الجبال ، فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم . فقال له كعب : إن الله قسم رؤيته وكلامه) .

هكذا فى سياق الترمذى . وعند عبد الرزاق من هذا الوجه . (فقال ابن عباس : إنا بنو هاشم نقول : إن محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى ربه مرتين . فكبر كعب وقال : إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فكلم موسى مرتين ورآه محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرتين . قال مسروق فدخلت على عائشة فقلت . هل رأى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه . .) الحديث .

ولابن مردويه من طريق إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن كعب مثله . قال - يعنى الشعبى - : فأتى مسروق عائشة . . فذكر الحديث .

فظهر بذلك سبب سؤال مسروق لعائشة عن ذلك .

قال النووى تبعًا لغيره : لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ، ولو كان معها لذكرته ، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية ، وقد خالفها غيرها من الصحابة .

والصحابى إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم ، لم يكن ذلك القول حجة اتفاقًا .

والمراد بالإدراك فى الآية الإحاطة ، وذلك لا ينافى الرؤية . انتهى .

وجزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع ، تبع فيه ابن خزيمة ، فإنه قال فى « كتاب التوحيد » من « صحيحه » : النفى لا يوجب علمًا ، ولم تحك عائشة أن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أخبرها أنه لم ير ربه ، وإنما تأولت الآية . انتهى .

وهو عجيب ، فقد ثبت ذلك عنها فى « صحيح مسلم » الذى شرحه الشيخ ، فعنده من طريق داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق : (وكنت متكئًا فجلست فقلت : ألم يقل ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ ؟ فقالت : أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك فقال : إنما هو جبريل) . وأخرجه ابن مردويه من طريق أخرى عن داود بهذا الإسناد : (فقالت : أنا أول من سأل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن هذا ، فقلت يا رسول الله ، هل رأيت ربك ؟ فقال : لا إنما رأيت جبريل منهبطًا) .

نعم احتجاج عائشة بالآية المذكورة خالفها فيه ابن عباس . فأخرج الترمذى من طريق الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال : (رأى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه . قلت : أليس الله يقول ﴿ **لا تدركه الأبصار** ﴾ ؟ قال : ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نوره وقد رأى ربه مرتين) .

وحاصله أن المراد بالآية نفى الإحاطة به عند رؤياه ، لا نفى أصل رؤياه . واستدل القرطبى فى « المفهم » (بأن) الإدراك لا ينافى الرؤية بقوله تعالى حكاية عن أصحاب موسى : ﴿ **فلما تراءى الجمعان، قال أصحاب موسى: إنا لمدركون قال: كلا** ﴾ . وهو استدلال عجيب ، لأن متعلق الإدراك فى آية الأنعام البصر ، فلما نفى ، كان ظاهره نفى الرؤية ، بخلاف الإدراك الذى فى قصة موسى . ولولا وجود الأخبار بثبوت الرؤية ، ما ساغ العدول عن الظاهر .

ثم قال القرطبى : « الأبصار » فى الآية جمع محلى بالألف واللام ، فيقبل التخصيص ، وقد ثبت دليل ذلك سمعًا فى قوله تعالى : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ . فيكون المراد الكفار ، بدليل قوله تعالى فى الآية الأخرى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة** ﴾ . قال : وإذا جازت فى الآخرة جازت فى الدنيا ، لتساوى الوقتين بالنسبة إلى المرئى . انتهى ، وهو استدلال جيد .

وقال عياض : رؤية الله سبحانه وتعالى جائزة عقلاً ، وثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين فى الآخرة . وأما فى الدنيا فقال مالك : إنما لم ير سبحانه فى الدنيا لأنه باق ، والباقى لا يرى بالفانى . فإذا كان فى الآخرة ، ورزقوا أبصاراً

باقية، رأوا الباقى بالباقى. قال عياض: وليس فى هذا الكلام استحالة الرؤية إلا من حيث القدرة، فإذا قدر الله من شاء، من عباده عليها لم يمتنع.

قلت: ووقع فى « صحيح مسلم » ما يؤيد هذه التفرقة فى حديث مرفوع، فيه: « واعلموا أنكم لم تروا ربكم حتى تموتوا ». وأخرجه ابن خزيمة أيضًا من حديث أبى أمامة، ومن حديث عبادة بن الصامت. فإن جازت الرؤية فى الدنيا عقلاً فقد امتنعت سمعًا، لكن من أثبتها للنبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم له أن يقول: إن المتكلم لا يدخل فى عموم كلامه.

*** أقوال السلف فى رؤية النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم لربه:**

وقد اختلف السلف فى رؤية النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ربه: فذهبت عائشة وابن مسعود إلى إنكارها، واختلف عن أبى ذر، وذهب جماعة إلى إثباتها. وحكى عبد الرزاق عن معمر عن الحسن أنه حلف أن محمدًا رأى ربه. وأخرج ابن خزيمة عن عروة بن الزبير إثباتها، وكان يشتد عليه إذا ذكر له إنكار عائشة، وبه قال سائر أصحاب ابن عباس، وجزم به كعب الأحبار والزهرى وصاحبه معمر وآخرون، وهو قول الأشعرى وغالب أتباعه. ثم اختلفوا: هل رآه بعينه أو بقلبه؟ وعن أحمد كالقولين.

قلت: جاءت عن ابن عباس أخبار مطلقة وأخرى مقيدة، فيجب حمل مطلقها على مقيدها. فمن ذلك ما أخرجه النسائى بإسناد صحيح وصححه الحاكم أيضًا، من طريق عكرمة عن ابن عباس: (هل رأى محمد ربه؟ فأرسل إليه: أن نعم) ومنها ما أخرجه مسلم من طريق أبى العالية عن ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى * ولقد رآه نزلة أخرى** ﴾ قال: (رأى ربه بفؤاده مرتين). وله من طريق عطاء عن ابن عباس قال: (رآه بقلبه). وأصرح من ذلك ما أخرجه ابن مردويه من طريق عطاء أيضًا عن ابن عباس قال: (لم يره رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعينه، إنما رآه بقلبه).

وعلى هذا، فيمكن الجمع بين إثبات ابن عباس ونفى عائشة، بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب. ثم المراد بروية الفؤاد: رؤية القلب، لا مجرد حصول العلم، لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان عالمًا بالله على

الدوام، بل مراد من أثبت له أنه رآه بقلبه، أن الرؤية التى حصلت له خلقت فى قلبه كما يخلق الرؤية بالعين لغيره. والرؤية لا يشترط لها شيء مخصوص عقلاً، ولو جرت العادة بخلقها فى العين .

وروى ابن خزيمة بإسناد قوى عن أنس قال : (رأى محمد ربه). وعن مسلم من حديث أبى ذر أنه سأل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن ذلك فقال : (نور أنى أراه) ولأحمد عنه قال: « رأيت نورًا » ولابن خزيمة عنه قال: « رآه بقلبه ولم يره بعينه ». وبهذا يتبين مراد أبى ذر بذكره النور، أى النور حال بين رؤيته له ببصره وقد رجح القرطبى فى « المفهم » قول الوقف فى هذه المسألة، وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس فى الباب دليل قاطع، وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل. قال: وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية، وإنما هى من المعتقدات، فلا يكتفى فيها إلا بالدليل القطعى وجنح ابن خزيمة فى « كتاب التوحيد » إلى ترجيح الإثبات وأطنب فى الاستدلال له بما يطول ذكره، وحمل ما ورد عن ابن عباس، على أن الرؤيا وقعت مرتين: مرة بعينه ومرة بقلبه، وفيما أوردته من ذلك فقنع .

وممن أثبت الرؤية لنبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإمام أحمد، فروى الخلال فى « كتاب السنة » عن المروزى: قلت لأحمد: إنهم يقولون: إن عائشة قالت: من زعم أن محمدًا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية. فبأى شيء يدفع قولها ؟ قال: يقول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم: « رأيت ربى » قول النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكبر من قولها .

وقد أنكر صاحب « الهدى » على من زعم أن أحمد قال : رأى ربه بعينى رأسه قال: وإنما قال مرة: رأى محمد ربه، وقال مرة: بفؤاده. وحكى عن بعض المتأخرين رآه بعينى رأسه. وهذا من تصرف الحاكى، فإن نصوصه موجودة. ثم قال: ينبغى أن يعلم الفرق بين قولهم: كان الإسراء منامًا، وبين قولهم: كان بروحه دون جسده فإن بينهما فرقًا فإن الذى يراه النائم قد يكون حقيقة بأن تصعد الروح مثلاً إلى السماء، وقد يكون من ضرب المثل أن يرى النائم ذلك وروحه لم تصعد أصلاً. فيحتمل من قال: أسرى بروحه ولم يصعد جسده، أراد أن روحه عرج بها

حقيقة فصعدت ثم رجعت، وجسده باق فى مكانه خرقًا للعادة. كما أنه فى تلك الليلة شق صدره والتأم وهو حى يقظان، لا يجد بذلك ألمًا. انتهى.

وظاهر الأخبار الواردة فى الإسراء تأبى الحمل على ذلك، بل أسرى بجسده وروحه، وعرج بهما حقيقة، فى اليقظة لا منامًا ولا استغراقًا، والله أعلم.

قال الحافظ رحمه الله: ولمسلم عن مسروق: أنه أتاه فى هذه المرة [يعنى جبريل] فى صورته التى هى صورته، فسد أفق السماء. وله فى رواية داود بن أبى هند: « رأيته منهبطًا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء والأرض » وللنسائى من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود: « أبصر جبريل ولم يبصر ربه ».

وأخرجه البخارى عن زر عن عبد الله - يعنى ابن مسعود: ﴿ **فكان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى** ﴾ قال - يعنى زرًا: حدثنا ابن مسعود: أنه رأى جبريل له ستمائة جناح.

وأخرج عنه أيضًا: ﴿ **لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾ قال: رأى رفرفًا أخضر قد سد الأفق.

قال الحافظ رحمه الله: هذا ظاهره يغاير التفسير السابق أنه رأى جبريل، ولكن يوضح المراد ما أخرجه النسائى والحاكم من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال: (أبصر نبى الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جبريل عليه السلام على رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض). فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل، والصفة التى كان عليها.

وفى رواية أحمد والترمذى وصححها من طريق عبد الرحمن بن يزيد عن ابن مسعود (رأى جبريل فى حلة من رفرف، قد ملأ ما بين السماء والأرض).

وبهذه الرواية يعرف المراد بالرفرف، وأنه حلة. ويؤيده قوله تعالى: ﴿ **متكئين على رفرف** ﴾ وأصل الرفرف: ما كان من الديباج رقيقًا حسن الصنعة، ثم اشتهر استعماله فى الستر، وكان ما فضل من شىء وثنى فهو رفرف. ويقال: رفرف الطائر بجناحيه: إذا بسطهما. وقال بعض الشراح: يحتمل أن يكون جبريل بسط أجنحته، فصارت تشبه الرفرف. كذا قال، والرواية التى أوردتها توضح المراد.

الإسلام دين الفطرة

* معنى اللبن والخمر والماء والعسل؟

*** هداية الله رسوله إلى الفطرة :**

أخرج البخارى رحمه الله من حديث أبى هريرة : أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن . فنظر إليهما ، فأخذ اللبن . قال جبريل : الحمد لله الذى هداك للفطرة ، لو أخذت الخمر غوت أمتك . وأخرج من حديث مالك بن صعصعة : « ثم رفع لى البيت المعمور . ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن ، وإناء من عسل ، فأخذت اللبن ، فقال : هى الفطرة التى أنت عليها وأمتك . . . » .

وأخرج عن شعبة عن قتادة عن أنس بن مالك معلقًا بصيغة الجزم . ووصله أبو عوانة والإسماعيلى والطبرانى فى الصغير ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وَسلم : « ورفعت إلى السدرة ، فإذا أربعة أنهار : نهران ظاهران ونهران باطنان . فأما الظاهران فالنيل والفرات ، وأما الباطنان فنهران فى الجنة . فأتيت بثلاثة أقداح : قدح فيه لبن وقدح فيه عسل ، وقدح فيه خمر ، فأخذت الذى فيه اللبن ، فشربت ، فقيل لى : أصبت الفطرة أنت وأمتك » .

قال البخارى : وقال هشام وسعيد وهمام عن قتادة عن أنس بن مالك عن مالك ابن صعصعة عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى الأنهار نحوه ولم يذكروا ثلاثة أقداح .

قال الحافظ رحمه الله : قال القرطبى : يحتمل أن يكون سبب تسمية اللبن فطرة ، لأنه أول شىء يدخل بطن المولود ويشق أمعاءه والسر فى ميل النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم إليه دون غيره ، لكونه كان مألوفًا له ، ولأنه لا ينشأ عن جنسه مفسدة .

وقد وقع فى (رواية قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة) أن إتيانه الآنية كان بعد وصوله إلى سدرة المنتهى (كما فى رواية) شعبة عن قتادة عن أنس إلا أن شعبة لم يذكر فى الإسناد مالك بن صعصعة (رغم موافقته لروايته) وفى حديث أبى هريرة عند ابن عَائذ فى حديث المعراج بعد ذكر إبراهيم قال : « ثم انطلقنا ، فإذا نحن بثلاثة أنية مغطاة . فقال جبريل : يا محمد ألا تشرب مما سقاك ربك ؟ فتناولت إحداها ، فإذا هو عسل ، فشربت منه قليلاً ، ثم تناولت الآخر ، فإذا هو لبن ، فشربت

منه حتى رويت . فقال : ألا تشرب من الثالث ؟ قلت : قد رويت . قال : وفقك الله » .

وفى رواية البزار من هذا الوجه ، أن الثالث كان خمرًا ، لكن وقع عنده أن ذلك كان ببيت المقدس ، وأن الأول كان ماء ، ولم يذكر العسل . وفى حديث ابن عباس عند أحمد : (فلما أتى المسجد الأقصى ، قام يصلى ، فلما انصرف جىء بقدحين فى أحدهما لبن وفى الآخر عسل ، فأخذ اللبن . . .) الحديث .

وقد وقع عند مسلم من طريق ثابت عن أنس أيضًا : أن إتيانه بالآنية كان ببيت المقدس ، قبل المعراج ، ولفظه : ثم دخلت المسجد ، فصليت فيه ركعتين ثم خرجت ، فجاء جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن ، فأخذت اللبن ، فقال جبريل : أخذت الفطرة . ثم عرج إلى السماء .

وفى حديث شداد بن أوس : « فصليت فى المسجد حيث شاء الله ، وأخذنى من العطش أشد ما أخذنى ، فأتيت بإناءين : أحدهما لبن ، والآخر عسل ، فعدلت بينهما ، ثم هدانى الله فأخذت اللبن فقال شيخ بين يدى - يعنى لجبريل - : أخذ صاحبك الفطرة » .

وفى حديث أبى سعيد عند ابن إسحاق فى قصة الإسراء : (فصلى بهم - يعنى بالإنبياء - ثم أتى بثلاثة آنية : إناء فيه لبن ، وإناء فيه خَمر ، وإناء فيه ماء فأخذت اللبَن . .) الحديث .

وفى مرسل الحسن عنده نحوه ، لكن لم يذكر إناء الماء .

ووقع بيان مكان عرض الآنية فى رواية سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عند المصنف (يعنى البخارى) ، ولفظه : (أتى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليلة أسرى به بإيلياء بإناء فيه خمر ، وإناء فيه لبن ، فنظر إليهما ، فأخذ اللبن ، فقال له جبريل : الحمد لله الذى هداك للفطرة ، لو أخذت الخمر غوت أمتك) وهو عند مسلم .

وفى رواية عبد الرحمن بن هشام بن عتبة عن أنس عند البيهقى : (فعرض عليه الماء والخمر واللبن ، فأخذ اللبن ، فقال له جبريل : أصبت الفطرة ، ولو شربت الماء

لغرقت وغرقت أمتك، ولو شربت الخمر لغويت وغوت أمتك). ويجمع بين هذا الاختلاف، إما بحمل (ثم) على غير بابها من الترتيب، وإنما هى بمعنى الواو هنا، وإما بوقوع عرض الآنية مرتين: مرة عند فراغه من الصلاة ببيت المقدس، وسببه ما وقع له من العطش، وسببه عند وصوله إلى سدرة المنتهى ورؤية الأنهار الأربعة .

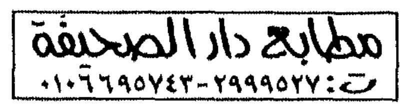
أما الاختلاف فى عدد الآنية وما فيها، فيحمل على أن بعض الرواة ذكر مالم يذكره الآخر، ومجموعها أربعة آنية، فيها أربعة أشياء، من الأنهار الأربعة التى رأها تخرج من أصل سدرة المنتهى .

ووقع فى حديث أبى هريرة عند الطبرى، لما ذكر سدرة المنتهى: يخرج (من أصلها أنهار من ماء غير آسن، ومن لبن لم يتغير طعمه، ومن خمرة لذة للشاربين، ومن عسل مصفى) فلعله عرض عليه من كل نهر إناء. وجاء عن كعب: أن نهر العسل نهر النيل، ونهر اللبن نهر جيحان، ونهر الخمر نهر الفرات، ونهر الماء سيحان، والله أعلم .

قال ابن المنير : لم يذكر السر فى عدوله عن العسل إلى اللبن، كما ذكر السر فى عدوله عن الخمر، ولعل السر فى ذلك كون اللبن أنفع، وبه يشتد العظم وينبت اللحم، وهو بمجرده قوت، ولا يدخل فى السرف بوجه، وهو أقرب إلى الزهد ولا منافة بينه وبين الورع بوجه. والعسل وإن كان حلالاً، لكنه من المستلذات التى قد يخشى على صاحبها، أن يندرج فى قوله تعالى: ﴿ **أذهبتم طيباتكم** ﴾ قلت: ويحتمل أن يكون السر فيه ما وقع فى بعض طرق الإسراء، أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عطش - كما تقدم - فأتى بالأقداح، فآثر اللبن دون غيره، لما فيه من دون الخمر والعسل فهذا هو السبب الأصلى فى إيثار اللبن، وصادف مع ذلك رجحانه عليهما من عدة جهات. قال ابن المنير : ولا يعكر على ما ذكرته أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يحب الحلوى والعسل، لأنه إنما كان يحبه مقتصداً فى تناوله، لا فى جعله ديدنا ولا تنطعًا .

*****

الفهرس


مطابع دار الصحيفة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧-٠١٠٦٦٩٥٧٤٣


دار الحديث
القاهرة
Bibliotheca Alexandrina
0353162